وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

الغربة والحنين في شعر الرصافي البلنسي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب :

أيوب بوخزه

إشراف الأستاذ الدكتور :

امحمد بن لخضر فورار

السنة الجامعية : 1434/1433 هـ

2012 / 2013 م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١

سورة المجادلة ، الآيـــة (11)

شكـــــر وعـــرفان

لا يسعني في هذا المقام إلاَّ أن أتقدم بوافر شكري ، وعظيم امتناني إلى من واكب هذا العمل من كونه فكرة حتى رأى النور متكاملاً: وفّر لي الوقت اللازم ،وفتح صدره لمناقشتي ، وسدَّدَ خُطواتي ، وأغنىَ بحثي بملحوظاته القيِّمَة ، إلى أستاذي الدكتور: **امحمد بن لخضر فورار**

جزاه اللّه خير الجزاء ، وأسبغ عليه الصحة والعافية .

كمـــا يطيب لـــي أن أتقـــدم بالشـــكر الجزيل لأساتذة قسم اللغة العربية ، بجـــامعة محمد خيضر .

وإلى كل من مدَّ لـــي يد العـــون والمساندة لإتمام هذا العمل.

الإهـــداء

✍ إلى من أوفيا عمرهما تضحية وعطاء ، إلى من زرعا الأمل في طريقي ، وعاشا ينتظران يوم الفرح حتى أتاهما ، إلى من قال الله تعالي فيهما :﴿وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾

أمـــي و أبـــي

✍ **إلى أخوتي** : نور الهدى ، سهيل ، ياسر ،مدينة ، بلقيس ، مي ، عبد الباري ، تسنيم

✍ **إلى العم الأستاذ:** بوعـــلام بوخزه ، **وإلى الأستاذة** : بلقيس

✍ **إلى رفقائي في سنوات الجامعة:** عبد القادر ، عبد الكريم ، عمر، عبد الحميد ، نور الدين

✍ **إلى الأصدقاء :** توفيق ، أحمد ، رياض ، علاء الدين ، البشير ، محمد ، هاجر ، سعيدة ، علية ، مريم ، منيرة .

✍ **وأخيرا:** إلى كل من أحبّ لغة الضاد ، وأدب الضاد ، وأخلص لهما وسعى لخدمتهما .

أهدي هذا البحث المتواضع

الفهـــــرس

شكر وعرفـــــان	
مقدمـــــة	أ-ب-ج-د
المدخـــــل ..... {عصـــر الشـــاعـــر وحيـــــاته}	
أولا: عصر الشاعر.....	7
ثانيا: حياة الشاعر.....	12
1- مولده ونشأته	12
2- تجربته الشعرية	17
الفصل الأول :..... {شعر الغُربة والحَنين وتَطورهمَا في الأندلُسْ}	
1- مفهُـــوم الغُربة لغةً واصطلاحاً.....	24
2- مَعْـــنَى الحَنين لغةً واصطلاحاً.....	29
3- نظرة موجزة في شعر الغربة والحنين في الأندلس.....	36
الفصل الثاني : ..... {مَوضُوعَات شِعرُ الغُربَة والحَنِينْ في شعر الرُصَافِي البَلَنْسِي }	
أولا: الحنين إلى الوطن (بلنسية).....	48
1- الحنين إلى الوطن "بلنسية"	52
2- الحنين إلى الوطن وطبيعته الجميلة	55
ثانياً: الحنين إلى الأقرباء والأصدقاء.....	60
الفصل الثالث : ..... {الدراســـــة الفنيـــة }	
أولا: البناء العام للقصيدة	65
أ- المقطعات	65
ب- القصائد	68

1- المطلع	68
2- التخلُّص	71
3- الخاتمة	73
ثانياً: البناء المـــــوسيـــقي	74
1- الموسيقى الخارجية	75
أ- البحور الشعرية	75
ب- القافيـــة	77
2- الموسيقى الداخلية	79
أ- التصريـــع	80
ب- التكرار	81
ج- التوازن	84
د- الطباق والمقابلة	84
ه – الجنـــاس	87
ثالثا: اللغة والأسلوب	89
1- ألفاظ الشوق والحنين المباشرة.....	89
2- الألفاظ الدالة على الحنين.....	90
الأساليب الإنشائية	92
أ- أسلوب النداء	93
ب- أسلوب الاستفهام.....	94
ج- أسلوب الأمر.....	94
رابعاً: الصورة الشعـــرية	95
1- الصور البيانية	97
- التشبيه.....	98
- الاستعارة	99
- الكناية.....	100

2- الصور الحسية	101
أ- الصورة البصرية.....	102
ب- الصورة الشمية.....	103
ج- الصورة الذوقية.....	104
د- الصورة اللمسية.....	104
خـــــــاتمة	108
قائمة المصادر والمراجـــــــــع	111
فهرس الموضوعـــــــات	120

الحمد لله الذي يطيب بذكره ابتداء الكلام ، وتتفتح الأذهان ، وتتيسر الأعمال ، وتنجح المقاصد ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ، عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم ، وعلى آلـــه وصحبه أجمعين .

فقد أنعم الله علينا بنعم جليلة ، وفضائل جزيلة ، من إيمان وتواصل ومحبة وإنسانية قبل هذا وذاك ، وجعل من عناصر إنسانيتنا العاطفة والإحساس الرقيقين ، اللذين يولدان الرحمة : رحمة الإنسان للإنسان ، ورحمته للحيوان ، ورحمته حتى لظواهر الطبيعة . هذه الرحمة التي انبثق منها حبُّ الإنسان لأخيه ، وحبّه لبلده وموطنه .

ولـــمَّا قال الله (سبحانه وتعالى) لآدم (عليه السلام) : ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[1] ،ارتبط الموطن بالسكن بما يمثله من هدوء وراحة نفسية واطمئنان ، فارتبط الإنسان بهذا الوطن ارتباطاً يكاد يكون عضوياً .وحين عبّر عن حبه لهذا الوطن ، سواء أكان في إقامته فيه ، أو في نأيه عنه ، كان التعبير عن ذلك حنينا ورقّة .

فالحنين موضوع قديم في الشعر العربي ، أكثَرَ منه الشعراء لأنه يُعبِّرُ عن عاطفة إنسانية صادقة ، ويرتبط غالباً بالغُربة التي يفارق فيها الإنسان وطنه وأهله وأحباءه لظروف مختلفة .

وكان لشعراء الأندلس نصيبٌ وافر في هذا الموضوع من الشعر ، فقد عبّروا عن حنينهم لوطن تركوه ، وأودعوا فيه مفتقدات غالية من الأهل والأقرباء والذكريات ، إمَّا رغبة في العلم ، والجاه ، والمال ،أو مُكرَهين في حالة الفقر والنفي نتيجة الأوضاع المضطربة .

من هنا جاءت أهمية اختياري لهذا الموضوع ، كونه يضفي شيئاً جديداً للأدب العربي ، ويبرز الجانب الوجداني الخالص ذي الطابع الإنساني في شعر الغربة والحنين .

---

[1]- سورة البقرة . الآيـــة 35 .

ويطمح هذا البحث إلى تسليط الضوء على هذا الشق الحساس من شعر الغربة والحنين . كما تهدف الدراسة أيضا إلى الاقتراب من نص الغربة والحنين عند الرصافي البلنسي ، وقراءة فنياته وجمالياته .

ومن الدوافع الموضوعية التي كانت سبباً في اختيار الموضوع ، وهو أنَّ الأدب الأندلسي بصفة عامة لا يزال حقلا بكرا يحتاج إلى كثير من الدراسات المعمقة التي تذهب به بعيدا عن السطحية والسرد التاريخي فتلتفت إلى النصوص الشعرية ذاتها وتقترب من جمالياتها الفنية .

أمَّا عن السبب الذاتي ، فهو في حقيقة الأمر الدافع الأوّل والأقوى لاختيار الموضوع ، هو شغفي بالشعر الأندلسي عموما ، وبتاريخ الأندلس على الخصوص .

هذا وقد قام البحث على جملة من الأسئلة منها :

- من هو الرصافي البلنسي ؟
- ما هي أهم المواضيع التي كانت محلّ حنينه ؟
- كيف صاغ الشاعر تجربته على المستوى الفني وما هي الأدوات التي اتكأ عليها في إخراج هذه التجربة في شكلها الفني والجمالي ؟

ومثل هذه الدراسة ، إذا أُريد لها النجاح والشمولية ، فلا بد أن تعتمد على المنهج التكاملي ؛ فتستعين بالتاريخي في دراسة الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتطورها ،وتتبع شعر الغربة والحنين عبر العصور التاريخية في الأندلس. كما تستعين بالنفسي في استكناه نمو نفسية الشاعر في حنينه إلى بلده وأصدقائه ، وقد مزجت هذه الدراسة النفسية ببعض التفسيرات الأسلوبية والظواهر اللغوية التي افرزتها تجربة الشاعر في هذا الغرض ، وتستعين كذلك بالمنهج الوصفي التحليلي في التعامل مع النصوص لسبر غورها ، وكشف خبئها ، وارتباط بقائها . لذلك لم يكن هناك مناص من اعتماد الدراسة على المنهج التكاملي ، يغطي الجوانب التاريخية والنفسية والفنية .

وقد قُسِّمت الدراسة إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة .

أمَّا المدخل ، فقد خصصته للتطرق لعصر الشاعر ،والتعريف به والتعرّض لتجربته الشعرية.

وتناولت في الفصل الأول مفهومي الغربة والحنين ثمَّ ختمت الفصل بعرض موجز عن شعر الغربة والحنين في الأندلس .

وتعرضت في الفصل الثاني إلى موضوعات الغربة والحنين في شعر الرصافي البلنسي ، وقُسّم الفصل إلى موضوعين ، هما : الحنين إلى الوطن "بلنسية" ، والحنين إلى الأقرباء والأصدقاء.

وفي الفصل الثالث تناولت الجانب الفني لشعر الغربة والحنين ، من حيث : بناء القصيدة ، و الموسيقى ، و اللغة والأسلوب ، والصورة الشعرية.

وختمت هذا البحث بخاتمة لخصت فيها نتائج كل الفصول وأهم ما توصلت إليه من نتائج متواضعة وملاحظات أساسية حول موضوع الغربة والحنين عند الرصافي البلنسي.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مصادر ومراجع متعددة ومتنوعة يأتي في صدارتها ديوان الرصافي البلنسي كمصدر رئيسي ، إضافة إلى عدّة من المصادر الأندلسية الأدبية والتاريخية مثل :كتاب نفح الطيب للمقري ، وكتاب الذخيرة لابن بسام ،وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ، وكتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجني ، وكتاب العمدة لابن رشيق القيرواني وغيرهما ، واعتمدت كذلك على مراجع متنوعة وبعض الدراسات الأدبية الحديثة.

ولإنجاز هذه الدراسة المتواضعة التي دعا إليها السبب الآنف الذكر ،واجهت بعض الصعوبات أبرزها : تقسيم المباحث والفصول تماشياً مع المادة المتوفرة ، وإيجاد منهجية تلمُّ شتات البحث وتوجهه إلى هدفه.

وإذا تحدثت عن الصعوبة ، فلا بدَّ من التعريج على بعض العوامل التي سهلت السير في هذا البحث ، حتى أُنْـــجِزَ في وقت ليس بطويل ، منها : توفر المصادر والمراجع ، كما أنَّ التقويم المستمر من الأستاذ المشرف ساعد كثيراً في تجاوز كثير من الصعوبات ووفر الوقت والجهد ، وجعل الموضوع مركزاً حول الظاهرة، وحافظ عليه من التشتت والانفلات ، فله مني جزيل الشكر والامتنان.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت من خلال هذه الدراسة في خدمة التراث الأدبي الأندلسي ولو بالشيء القليل ، وأن يكون هذا البحث قد حقّق ولو جزءاً يسيراً من نتائجه التي صَبَا إليها .وإذْ أضع بين أيديكم هذه الدراسة المتواضعة ، فإني ألتمسُ العذر لما شابها من نقائص وحسبي أنِّي حاولت وما ادخرتُ جُهداً في ذلك .

واللّه أسأل التوفيق والسداد في دراستي هذه

أيوب بوخزه

قبل التطرق لموضوع الغربة والحنين لا بدّ علينا أولاً التعريف بالشاعر الرصافي البلنسي ، وقبل ذلك سنضعُ ملخصاً حول عصر الشاعر ، لنعرف البيئة التي عاش فيها.

أولا: عصر الشـــاعر

ظهر الضعف في الدولة المرابطية أواخر أيَّامها ، نتيجة لأكثر من عامل . كان منها الاستقواء الخارجي الذي «أثاره المهدي ابن تومرت حين حرَّك العصبية المصمودية باسم الدين ضدَّ حكم قبيلة لمتوتة ، ورماها بتهمٍ متعددة في طليعتها : الإنحراف عن تعاليم الدين والفساد الأخلاقي وسيطرة النساء على شؤُون الدولة»[1]. فلقد قامت دولة الموحدين في أعقاب دولة المرابطين ، وكلتاهما دولة إفريقية قَبَلِية دينية . و«إذا كانت دولة المرابطين ترجع في نشأتها إلى قبائل صنهاجة ، فإن دولة الموحدين هي الأخرى ترجع في نشأتها إلى قبائل المصامدة » [2] .

كانَ من أسباب ظهور القوى الموحدية في المغرب هو ضعف الروح الإسلامية العالية ، وبدأ أثره واضحاً «بسبب انصراف عدد من العلماء في المغرب بدراستهم إلى العناية المبالِغة بالفقه المذهبي وفروعه» [3] . حتى قامت جماعة تدافع عن هذا الفهم الواضح وتدعو إلى الصفاء بإزالة كل ما لا ينسجم والإسلام . «دعت هذه الجماعة إلى الفهم النقي والتوحيد الخالص وصفاء العقيدة ، وأطلقت على نفسها اسم (الموحِّدون) ، يرفضون كل ما يسيء إلى عقيدة التوحيد»[4].

ويرجع الفضل في ظهور دولة الموحدين «إلى رجل من إحدى قبائل المصامدة ينتسب إلى آل البيت ، ويدعي محمد بن تومرت » [5]. أو كما وصفه الدكتور إحسان عباس

---

[1]- الرصافي ،البلنسي . الديوان. جمعه وقدّم له إحسان عباس . دار الشروق . بيروت . لبنان . ط 2 .1983 م. ص 5 .

[2]- عتيق ، عبد العزيز . الأدب العربي في الأندلس . دار النهضة العربية . بيروت . لبنان . ط 1 . 1976 م .ص 111.

[3]- الحجي ، عبد الرحمن علي . التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة . دار القلم .سورية . دمشق . ط 2 . 1981 م . ص 455.

[4]- المرجع نفسه .ص 456.

[5]- عتيق ، عبد العزيز . الأدب العربي في الأندلس. ص 111.

بـــ«الفقيه المتديِّن» [1]، حيث كان «ذا فصاحة وبيان وحجة قوية ، إلى ورع ونسك وغيرة شديدة على الدين»[2]، وربما هذه الغيرة هي التي جعلته يندب نفسه للدعوة والإصلاح الديني ، وخاصة بعدما كان ما يراه من انتشار البغي والفساد في المجتمع الإسلامي ، مع سكوت علماء الدين في الدولة المرابطية على ذلك . حيث «رحل ابن تُومَرتْ إلى الشرق الإسلامي بداية القرن السادس الهجري . فالتقى بالعلماء وتلقى عنهم »[3].

أمَّا في الأندلس وقبيل سقوط الدولة المرابطية ، ظهرت عِدَّة ثورات كان أولها ثورة «ثورة أحمد بن قسي صاحب كتاب خلع النعلين بغرب الأندلس وتسمى ثورته "ثورة المريدين" ، وكانت طريقته الصوفيه منتشرة في شلب ولبلة وميرتلة في غرب الأندلس وامتدت شرقاً حتى المرية» [4].

وأخذ لهيب الثورة ينتقل من مكان إلى آخر . «فثار العامة بقرطبة وبايعُوا القاضي أبَا جعفر أحمد ابن حمدين بمسجد قرطبة (539)هـــ ، فسكن قصر الخلافة وتسمى بأمير المسلمين وناصر الدين»[5]، وحين « سمع أهل **بلنسية** بأن ابن حمدين قد استقل بقرطبة ثار أهلها وخَلَعُوا بيعة المرابطين وبايعوا أبا مروان عبد الملك بن عبد العزيز ، ومدَّ هذا القاضي سيطرته حتى شملت شاطبة ولقنت» [6]. وهناك أيضاً ثورة في مرسية حيث ثار «محمد بن عبد الله الخشني وكان من قبل قاضياً بها ، ومن بيوتاتها الكبيرة ، فاتسع بما استولى عليه من أموال اللمتونيين ، وأعاد ابن أضحى الثائر في غرناطة»[7].وهكذا استمرت سلسلة متعاقبة من الثورات مهدّت لظهور دولة الموحدين .

---

(1)- الرصافي، البلنسي . الديوان .ص 5 .

(2)- عتيق، عبد العزيز . الأدب العربي في الأندلس. ص 112 .

(3)- ابن سعيد، المغربي . المُغرب في حُلى المغرب .تحقيق شوقي ضيف .دار المعارف .القاهرة . مصر . ط4. (د.ت).ص 245.

(4)- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 6 .

(5)- المصدر نفسه . ص ن.

(6)- المصدر نفسه . ص ن .

(7)- المصدر نفسه . ص ن.

سيطولُ بنا الحديث لو مَضَينا في تِعداد الثائرين ، ولكن لنقتصر على ما في شرق الأندلس ، لأنها هي المنطقة التي عاش فيها "الرصافي البلنسي" ، الذي لم يكن عمره يتجاوز الخامسة حين أخذت هذه الانتفاضات بالظهور، وذلك «بعد أن أخفق كل من ابن عبد العزيز ببلنسية وابن جعفر بمرسية ، اتفق الناس فيهما وفي جميع منطقة شرق الأندلس على تقديم رجل من رؤساء الجند اسمه عبد الرحمن بن عياض ، وكان رجلا صالحاً مشهورا بالفروسية يعده أعداؤه بمائة فارس » [1]، وكان ابن عياض فيما يصفه ابن سعيد «أسد الحروب ، وقطب الخطوب ، رجل الثغر شهرة وشجاعة» [2]، ولكن حكمه لم يطل فـــ«خلفه صهره محمد بن سعيد بن مردنيش فثبت قدمه في مرسية» [3]، فلقد كان ابن مردنيش «رجل قوي البنية معروفا بالفروسية يعاقر الخمر، ويتخرَّق في الكرم ، ويقتني العديد من الجواري ... واستعان بالروم في حكمه فجعل منهم أعوانه وجنده» [4] . حيث أصبح ابن مردنيش يعدّ الموحدين عدوّه الأول بعد أن أَمِنَ جانب الروم حين والاهم واتخذ جنده منهم ،حيث قام بـــ «أول هجماته سنة 554 حين زحف من مرسية مع حلفائه من الروم إلى جيان فسلمها له واليها ، فتوجه نحو قرطبة ونازلها ودمَّر زرعها وعفَّى ربعها » [5]. حيث زرع الخوف في قلوب القرطبيين ، وأرغمهم على المغادرة والبحث عن موطن جديد آمن.

---

[1]- الرصافي، البلنسي. الديوان . ص 7.

[2]- ابن سعيد ، المغربي المُغرب في حُلى المغرب. ص 301.

[3]- الرصافي ،البلنسي. الديوان . ص 7.

[4]- ابن الخطيب، لسان الدين . أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام. تحقيق ليفي بروفنسال .دار المكشوف . بيروت . لبنان . ط 2 . 1956 م . ص260.

[5]- الرصافي، البلنسي. الديوان .ص 8 .

أمَّا قرطبة فـــ«إن ابن همشك لم يزل في كل صائفة يفسد زرعها ويضرّ بربوعها»[1]، وذاقت هي وأهلها من فتنة ابن مردنيش وصاحبه ابن همشك الويلات ، فهجرها الكثير من أهلها نتيجة الهلع والفزع الذي لحق بها ، وخيم الفقر والبؤس على من بقى منها [2].

في هذه الأثناء «كان عبد المؤمن قد اطمأن إلى ترسيخ سيطرته في المغرب واستولى على البلاد حتى المهدية ، فتحرك بمجموعة قاصداً الأندلس في "ذي القعدة سنة 555هـــ"، وكان له يوم مشهود بجبل طارق الذي سماه "جبل الفتح"»[3] .حيت قام بتوزيع الولاّة على النواحي التي أدانت الموحدين «فولى اشبيلية وأعمالها ابنه يوسف وأرسل معه كثيرا من أبناء الموحدين لمعونته ، وولى قرطبة أبا حفص عمر إينتي ، وولى غرناطة وأعمالها ابنه أبا سعيد ، ورجع هو إلى مراكش بعد ما ملأ الأندلس خيلاً ورجالاً من المصامدة ، واستدعى القبائل العربية من افريقيا للدخول إلى الأندلس والاشتراك في الجهاد ضد الروم ومن يواليهم» [4].

لم يدم الحال طويلاً إلى أن هاجم ابن همشك غرناطة سنة" 557 هـــ" وتواطأ على احتلالها مع من فيها من اليهود ، فاستولى عليها وبعث إلى ابن مردنيش ببشرى ما أحرزه من نصر ، وقبل أن تصل امدادات ابن مردنيش تحرَّك أبو سعيد على رأس جيش موحدي لاستنقاذ غرناطة فالتقى الجمعان في "مرج الرقاد"، حيث هزم الموحدون شرَّ هزيمة ، وما إن تجدّدت عزيمة الموحدين على معاودة الكرّة ،حتَّى تصادفت مع وصول جيش ابن مردنيش فهزمتهُ ومنذ هذه الواقعة أخد نجمه في الأفول [5].

---

[1]- المراكشي، ابن عذاري . البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب . تحقيق ليفي بروفنسال . دار الثقافة . بيروت. لبنان. ط3 . 1983 م . ج3 . ص 423 .

[2]- ينظر: المرجع نفسه . ص 53 – 54.

[3]- الرصافي، البلنسي. الديوان . ص9 .

[4]- المصدر نفسه . ص ن .

[5]- ينظر: المراكشي ، ابن عذاري . البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب. ص 50 .

وقد قامت خصومة بين ابن مردنيش وصهره ابن همشك ،حيث قام ابن مردنيش بتطليق زوجه ابن همشك وردها إلى أبيها مُهانة ، فغضب ابن همشك فأخد يداخل الموحدين لأنه رأى المصلحة في الانضمام إليهم ، وكان هذا بإشارة من وزيره أبي جعفر الوقشي "ممدوح الرصافي" ، فضعُف شأن ابن مردنيش ، حيث قرَّر بعدها يوسف بن عبد المؤمن الذي تولى الخلافة بعد أبيه "558 - 580 هـــ" أن ينتزع ما تبقى من البلاد التي كانت في حوزة ابن مردنيش ، فاجتاز الأندلس سنة "566هـــ" في نية غزو الرّوم ، غير أنه كان ينوي قتال ابن مردنيش ، حيثُ عيَّنَ أخاه أبا سعيد لجيش أرسله للاستيلاء على مرسية ، فخرج إليه محمد بن سعيد في جنده الرومي فكان اللقاء في معركة الجلاب على أربعة أميال من مرسية ، فانهزم أصحاب ابن مردنيش ، وفرَّ هو إلى مرسية وتحصَّنَ بها ، وتوفي أثناء الحصار سنة "567هـــ" واستولى الموحدون على مرسية [1].

[1]- ينظر : الرصافي ،البلنسي. الديوان . ص 9 .

ثانياً: حياة الشـــاعـــر

1- مولده ونشأته :

ولد محمد بن غالب الرصافي المكنَّى « بأبي عبد الله في رصافة بلنسية ، فهو رصافي بلنسي ، وتكاد النِسبتان تكون نسبة واحدة ، فالرصافة تصاقب حضرة بلنسية »[1]، وهي «مدينة سهلية ، كثيرة التجارات ، وبها أسواق وحصون وقلاع ، وهي على نهر جارٍ يُنْتَفعُ به ، ويسقي المزارع ، وعليه بساتين ، وجنّات وعمارات متصلة ، والسفن تدخل نهرها ، وسورها مبني بالحجر والطوابي ، ولها أربعة أبواب ، ولأهلها حسن زي ، وكرم وطباع ، والغالب عليهم طيب النفوس ، والميل إلى الرّاحات ، ولها أقاليم كثيرة»[2]،فهي قطعة جميلة من الطبيعة الأندلسية تتميز بالبساتين والمياه الجارية «فلا ترى فيها إلاَّ مياهاً تتفرع ، ولا تسمع إلاَّ أطياراً تسجع ،ولا تستنشق إلاَّ أزهاراً تنفح »[3]. ولم تُشِر المصادر إلى تاريخ مولده ، ولكن صاحب المعجب يؤكد أنَّ الرصافي أنشد عبد المؤمن قصيدة لـــمَّا اجْتَاز إلى الأندلس سنة "555 هـــ" ونزل بجبل الفتح ، مطلعها [4]:

لَو جِئتَ نَارَ الهدى مِنْ جَـــانب الطُور قبست مَا شِئْتَ مِن علـــم ومن نُـــور

لم تَكْمُل له عشرون سنة "أي أن مولده قد يكون في حدود سنة 536هـــ" أمَّا عن عائلته فـــ«قد رزقت به أسرة متواضعة ، إذ كان أبوه رفاء، رحل به إلى مالقة وهو لا يزال صغيراً ، في محو الثامنة أو التاسعة» [5] ، أي ما زال في مرحلة الصبا.

---

(1)- الرصافي ،البلنسي. الديوان . ص10.

(2)- الحميري . الروض المعطار في خبر الأقطار . تحقيق إحسان عباس . مكتبة لبنان . بيروت . لبنان . ط 2 . 1984 م . ص 98.

(3)- ابن سعيد، المغربي . المغربي المُغرب في حُلى المغرب. ص297.

(4)- الرصافي ،البلنسي. الديوان . ص13 .

(5)- عيسى ، خليل محسن . أمراء الشعر الأندلسي . دار جرير للنشر والتوزيع . عمان . الاردن . ط1 . 2007 م . ص 132 .

ولسبب لا ندريه فارق الرصافي بلنسية ، فابن الأبار لم يُشِر إلى ذلك ، ولكن يمكن أن نفترض أن أسرته رحلت عن بلنسية لاضطراب الأوضاع السياسية أو بحثاً عن الرزق بعد أن ضاقت به الحال في بلده .

يقول ابن الأبار : «وخرج من وطنه صغيراً فكان يكثر الحنين إليه ويقصر أكثر منظومة عليه» [1] .وذلك ما نلمسه جليا في ديوانه الذي يغلب عليه اللمسة الحنينية .

وظلَّ يتذكر من بلنسية معاهدها الهامة كالرصافة نفسها، وجسر معان، والبحيرة والنهر، وسائر المناظر الطبيعية ، وهو يقول في بعض قصائده متشوقاً إلى بلنسية [2]:

بِلادي التي رِيْشَتْ قُوَيْـــدِيَمَتي بها فريخاً وآوتني قرارتَها وكْـــرا

مبادئ لينِ العيشِ في ريِّقِ الصِّبا أَبى اللهُ أَنْ أَنْسى لها أَبداً ذِكْراً

فقد قضى فيها ريقَ الصّبا ، أي لعلَّه بلغ فيها سِنَّ المراهقة ، ثُـــمَّ «كانت هجرة الرصافي إلى مالقة ، وبها قضى معظم حياته ، فتلقي تعليمه في مساجدها وحلقاتها العلمية »[3]، وفي مالقة أخد أبوه يلقنه حرفته من رَفْو الملابس ، وفسخ له من الوقت ما مكّنه من الاختلاف إلى كتاب لحفظ القران ، ثم الاختلاف إلى حلقات الشيوخ لتعلُّم العربية ، والتزوُّد من علوم الدين ، ومن الأدب والشعر ، وتفتحت ملكته الشعرية مبكرة .

ويقول لسان الدين الخطيب أنه «سكن غرناطة مدَّة ثم مالقة»[4] ، يعني أنَّهُ تحوَّل من بلنسية إلى غرناطة وسكنها مدّة .

---

[1]- الرصافي ،البلنسي. الديوان . ص 11.

[2]- المصدر نفسه . ص ن.

[3]- فوزي ، عيسى . الشعر الأندلسي في عصر الموحدين . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية . مصر . ط 1 . 2008 م . 277 .

[4]- ابن الخطيب ، لسان الدين . الإحاطة في أخبار غرناطة . تحقيق محمد عبد الله عنان . مكتبة الخانجي . القاهرة . مصر. ط 2 . 1973 م . ج 2 .ص 505 .

وأغلب الروايات تدلُّ على أنَّ صلته بغرناطة إنَّما تمت عندما «تجاوز عهد الصبا وأقلع عن حياة المجون ، و لم يبق له من حياة اللهو إلا التفرُّج بمناظر الطبيعة ، فكان يرتاد متنزهات غرناطة مثل نجدٍ وحور مؤمل مع صديقه الشاعر الكتندي ، وأبي جعفر بن سعيد صاحب حفصة الشاعرة ، وقريب محمد بن عبد الملك والي المدينة» [1].

وأيضاً وردت في نفح الطيب رواية تدلُّ على أنَّ الرُصافي كان في دور المراهقة يعيش بمالقة ويطلب فيها العلم ، وأن الطلبة صنعوا نزهة بالوادي الكبير بمالقة وارتجل الرصافي بيتين في تلك الرحلة فلما سمعهما أستاذه استنبله، وقال له : إنَّكَ ستكون شاعر زمانك [2].

وخُلاصة القول في هذا الأمر «أنَّ الرصافي فارق بلنسية ونزل مالقة (والأرجح أنه كان بصحبه أبيه) ، ونال ثقافته الأولية في مالقة ، و لم يكن سكناه غرناطة تحولاً عن البلد الذي اختاروه وإنَّما كانت هجرة مؤقتة عارضة» [3].

وكانت فترة إقامته بمالقة من أهم الفترات في حياته الأدبية ، حيثُ كان «يشارك في الحياة الاجتماعية والعلمية ، فيرتاد متنـــزهات مالقة ، ويعقد صِلاَت مع عُلمائها وأُدبَائِهَا ، على شاكلة ابن أبي العباس الجذامي المالقي »[4].

ومن الأدباء الذين تعرَّف عليهم : أبو الحسن بن لبال الشريشي ، وأبو عمر ابن شلبون [5]، وإنَّ « أكبر الظنّ أنه تَبَوَأَ مكانة رفيعة في البلاط المالقي ، فقد مثَّل وفد مالقة الذي قَدِمَ إلى جبل الفتح لمدح الخليفة عبد المؤمن »[6].

---

[1]- الرصافي ، البلنسي. الديوان . ص 13 .

[2]- المقري ، التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . تحقيق إحسان عباس .دار صادر . بيروت . لبنان . ط1 . 1998م . ج 4 . ص 161 .

[3]- الرصافي، البلنسي. الديوان. ص 14 .

[4]- فوزي ، عيسى . الشعر الأندلسي في عصر الموحدين. ص 277 .

[5]- الرصافي، البلنسي. الديوان . ص 73 .

[6]- فوزي ،عيسى . الشعر الأندلسي في عصر الموحدين. ص 278 .

ونلاحظ أن المراكشي في ترجمته للرُصافي يصفه بـــ «الوزير الكاتب»[1] ، فلا يُستَبعَدُ ذلك ، فربما عمل الرصافي كاتباً في البلاط المالقي بدليل اختياره في وفد جبل الفتح ، ومع أنَّ «الذين ترجموا له على قِلَّتِهم لم يشيروا إلى اشتغاله بالكتابة ، إلاّ أنَّ ابن الخطيب انفرد بأن أورد له مقامة نثرية في وصف القلم»[2].

ولقد اشتهر الرصافي بالعفاف ، والانقباض وعلو الهمّة ، وأنه لم يبتذل نفسه في خدمة ، ورضي بالقناعة ، وهو بذلك « يشبه ابن خفاجة شبها قريباً : فكلاهما كان يؤمن بهذا المذهب ، وكلاهما رحَّب بمقدّم دولة جديدة – رحب ابن خفاجة بمقدّم المرابطين ومدح أمراءهم ، ورحَّب الرصافي بمقدّم الموحدين ومدح بعض أمرائهم ، ثم نَفَى عن نفسه كلَّ ذلك وعاش قانعاً بحرفة الرفو وما تدره عليه من دخل يسير » [3].

والرُصافي على الرغم من أنه صرَّح بأنه يأبى الشعر خطة ، وأنه عزف عن المدح جملة ، إلاَّ أنّه «مدح عبد المؤمن كما مدح من يسميه ابن منصور ، وله قصيدتان في مدح الوزير الوقشي ، وقصيدة في مدح أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن أمير غرناطة وقصيدة في مدح محمد بن عبد الملك بن سعيد»[4] ، فهذا يعتبر منافياً لما صرّح به .

فالمدح عنده «أمرٌ عارض تميله الظروف» [5]، وليس عن طبعٍ وصنعه .

---

[1]– المراكشي ، عبد الواحد . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين .تحقيق صلاح الدين الهواري . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . ط 1 . 2006 م . ص 286 .

[2]– فوزي ،عيسى . الشعر الأندلسي في عصر الموحدين. ص 278 .

[3]– الرصافي، البلنسي. الديوان . ص 16 .

[4]– المصدر نفسه . ص ن .

[5]– المصدر نفسه . ص 17 .

فلقد ظلَّ الرصافي في مالقة لا يغادرها إلاَّ ليعود إليها ، فهو كما رأينا قد عرف غرناطة وقضى فيها فترة من الزمن ، وهو «قد سافر إلى المغرب وزار مكناسة وقيض له في هذه الرحلة أن يجتاز بحر الزقاق» [1]. حيث يقول[2]:

ولا كمكناسةِ الزيتونِ من وَطَنٍ أحسنْ بمنظرها المربي على العجَب

وما يشير إلى أنّه عبر بحر الزقاق إلى البر الإفريقي قوله[3]:

رَكِبْتُ لَهَا بَحْرَ الزُّقَاقِ تَعَمُّداً وَلِلْفُلكِ بين العَــدْوَتَينِ تَبــاري

ويقول ابن القاضي صاحب كتاب جذوة المقتبس «ورحل إلى العدوة فدخل مدينة فاس ، ولقيه بها أبو بكر محمد بن عبد الغني الفهري المعروف بابن الجنان وهو أندلسي نزيل فاس» [4].

وقد أحرز في مالقة وخاصة بعد أن علت به السن نسبياً «صورة الشيخ العاقل المحبوب الساكن الوقور ، الحسن السمت ، الطويل الصمت ، المنصرف إلى حرفته الذي يأبى أن يغتاب أحداً أو يرفع صوته غاضباً حتى ولو أساء الآخرون إليه»[5].

فلقد أصبحت شخصية الرصافي بعد تلك الفترة التي سميت "عهد المجون" تمثل "الرجل الصالح" الذي اتصف بالزهد والورع ، وظَّل على هذه الحالة يحتفظ في طبيعته بحسن العشرة وبمحبة الأصدقاء ، وبالافتتان بالطبيعة. وظلَّ الحنين يلازمُه ، وهو لم يتزوج شأنه في ذلك شأن ابن خفاجة «إذ توفي صرورة حتى مات»[6] رحمة الله عليه .

---

(1)- الرصافي، البلنسي. الديوان. ص 18.

(2)- المصدر نفسه. ص 19 .

(3)- المصدر نفسه . ص ن.

(4)- المكناسي ، أحمد بن القاضي . جِدوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس . دار المنصور للطباعة والوراقة . الرباط . المغرب . ط 1 . 1973 م . ص 266.

(5)- الرصافي ، البلنسي. الديوان . ص 20 .

(6)- المصدر نفسه . ص 21 .

توفي الرصافي وهو في منتصف العمر ، في السادسة والثلاثين من العمر «توفي يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة»[1].

2 – **تجربته الشعرية :**

يعتبر الرصافي من الشعراء المجيدين في زمانه ، كما يعدُّ الوَريث الشرعي للمذهب الذي أختاره ابن الزقاق وخاله ابن خفاجة في الشعر ، حيث كان هذا المذهب من عهد ملوك الطوائف بالأندلس، حيث «يقيم خطا واضحاً بين المقطوعة والقصيدة ، أمَّا المقطوعة فإنها لِتَقارب أجزائها ، تقوم على طلب الصور وتهدف إلى إيجاد التعليل... أمَّا القصيدة فإنّها بناء مكتمل يختار فيه صاحبه سياقاً من الجزالة البَدوية ، ويدرج فيه الصور بين الحين والحين»[2].

وقد تحدّث بنو وطنه عن شعره بالإعجاب ، وكان أكثرهم يروا إجادته في "المقطوعة"[3]. فقد قال فيه أبو بكر صاحب كتاب أدباء مالقة «فحل الشعراء ورئيس الأدباء» [4]، وقال فيه أيضاً ابن الأبار صاحب كتاب التكملة لكتاب الصلة «شاعر وقته المعترف له بالإجادة ... وكان من الرقّة وسلاسة الطبع وتنقيح القريض وتجويده على طريقة متحدة»[5].

وقيل عنه أيضاً «شاعر عصره ... وكان في قصائده كثيراً ما يذكر شوقه إلى معاهده فيأتي بما يعجب ويعجز»[6].

---

[1]– الرصافي ، البلنسي. الديوان . ص 14 .

[2]– المصدر نفسه . ص 22 .

[3]– المصدر نفسه . ص 23 .

[4]– المصدر نفسه . ص ن .

[5]– ابن الأبار .التكملة لكتاب الصلة . تحقيق عبد السلام الهراس . دار الفكر للطباعة . بيروت . لبنان . ط 1 . 1995 م . ص 520 . وينظر : المكناسي ، أحمد بن القاضي . جِدوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس. ص 266 .

[6]– الرصافي ، البلنسي. الديوان . ص 23 .

وقال فيه المراكشي التلمساني صاحب كتاب المُعجب «وهو من مجيدي شعراء عصره لا سيما في المقاطع ; كالخمسة أبيات وما دونها»[1] .

وينقل لنا لسان الدين عن ابن الزبير قوله فيه «كان فحلاً من فحول الشعراء ، ورئيساً في الأدباء» . وعن ابن عبد الملك قوله فيه : «كان شاعراً مجيداً ، رقيق الغزل ، سلس الطبع ، بارع التشبيهات ، بديع الاستعارات، نبيل المقاصد والأغراض»[2].

أمَّا لسان الدّين نفسه فيرى أنَّ «شعره لا نهاية فوقه رونقاً ومائية وحلاوة وطلاوة ورقة ديباجة وتمكن ألفاظ وتأصُّل معنى » [3].ومن هذه الشهادات وغيرها يمكن أن نستنتج الأمور الآتية [4].

1- كان في زمانه شاعر عصره المعترف له بالإجادة.
2- تقوم طريقته الشعرية على التنقيح والتجويد ، وهذا لم يفقد شعره الرقة والسلاسة .
3- أكثر شعره في الحنين إلى وطنه بلنسية، وأمداحه قليلة.
4- شبهه بعضهم بابن الرومي لأنه يحاول استخراج صورة جديدة ويتعمد التوليد والاختراع.
5- اتهمه أبو الحسن ابن حريق بالإقلال – وكان يعني الإقلال من قول الشعر فإن ديوانه يدل عكس ذلك.
6- سلموا له بالإجادة في المقاطيع كالخمسة الأبيات فما دونها ، ولكن مطولاته لا تقل جودة عنها .

---

[1]- المراكشي، عبد الواحد . المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص 290 .
[2]- ابن الخطيب ، لسان الدين . الإحاطة في أخبار غرناطة. ص 506 .
[3]- المرجع نفسه . ص 507.
[4]- الرصافي ،البلنسي. الديوان . 23 .

7- أدرك لسان الدين بن الخطيب بحسه النقدي الناقد أن شعره بلغ الغاية في الرونق والمائية ورقة الديباجة ، كما أدرك ابن عبد الملك جريان شعره مع سلاسة الطبع ، وفي هذين الحكمين نظرة إلى مطولات قصائده .

وفي قصائد الرصافي نجد ذلك الجو العام الذي تنتظم عليه القصيدة من أولها إلى آخرها ، ونلمسُ ذلك جلياً في مدحه ، فهو «يضعنا في جو ديني من حيث الاستعارات والإحالات والصور وأدوات الربط بين الماضي والحاضر ، وكذلك في قصائد الشوق والحنين ، وقصائد الرثاء » [1].وإذا وضعناه موضع مقارنة بأستاذه ابن خفاجة ، فنجد أنَّ بينهما غير موطن واحد من التشابه فكلا الشّاعرين قلَّل من المدح ونفَر منه وحاول أن يجد مجالاً آخرا لقريحته . فـــ«اختار ابن خفاجة الطبيعة العنيفة ميداناً لشاعريته، واختار الرصافي الطبيعة الهادئة الجميلة والحنين إلى الماضي ، وقرن ابن خفاجة بين الطبيعة والفناء والموت ، وقرن الرصافي بين الطبيعة والصداقة وذكريات الشباب والجمال الهادئ» [2].

وديوان الرصافي البلنسي زاخرٌ بالأغراض الأدبية ومتنوع ، ولقد غلب عليه الحنين إلى بلده بلنسية التي تركها وهو صغير .

سنحاول في بضع صفحات أن نستعرض أبياتاً للرصافي من كل غرض كتب فيه .

حيث قال يتشوق إلى بلنسية ويحن إليها [3]:

خليليَّ مـــا للبيدِ قد عبقتْ نشْرا وما لرؤوس الرَّكْبِ قد رُنِّحَتْ سُكْرا

هل المسكُ مَفْتوقاً بِمَدْرَجَةِ الصَّبا أمِ القـــومُ أجروْا منْ بلنسيـــةٍ ذكرا

بِجِسْـــرِ مَعـــانٍ والرُّصافة إِنَّـــهُ على القطرِ أنْ يسقي الرصافةَ والجسْرا

---

[1]- الرصافي البلنسي. الديوان. ص 24 .

[2]- المصدر نفسه . ص 25 .

[3]- المصدر نفسه . ص 67 .68.

بِلادي الـــتي رِيْشَتْ قُوَيْدِيمَتي بها فـــريخـــاً وآوتـــني قرارتَـــها وكْرا

مبـــادئ لينِ العيشِ في ريِّقِ الصِّبا أَبى اللهُ أَنْ أَنْسى لهـــا أَبـــداً ذِكْراً

بَلَنْسِيَـــةٌ تـــلكَ الزَبْرَجدَةُ الـــتي تسيـــلُ عليـــها كلُّ لـــؤلؤةٍ نَهْرا

كأنَّ عَرُوساً أبـــدعَ اللهُ حُسْنَها فصيّـــرَ مِنْ شَرْخِ الشبابِ لها عُمرا

ويقدم عبد المؤمن أمير الموحدين لزيارة الأندلس عام (556 هـــ) ، ويستدعي الشعراء من بلدان الأندلس لاستقباله في جبل طارق ، ومن بينهم الرصافي ، وهو لا يتجاوز عشرين ربيعا[1]. ومضى ينشد عبد المؤمن مُفتَتِحاً قصيدته بقوله [2]:

لو جئتَ نارَ الهُدى من جانبِ الطُّوْرِ قبستَ ما شئتَ منْ علمٍ ومن نورِ

مـــن كلِّ زهـــراءَ لم تُرْفَعْ ذُؤَابَتُها ليـــلاً لسارٍ و لم تشببْ لمقـــــرورِ

قيضيةُ القـــدحِ مـــن نورِ النبوَّةِ أَو نورِ الهـــدايةِ تَجْـــلُو ظُلْمَةَ الزُّورِ

ما زال يقضمـــها التقوى بموقدِها صـــوامُ هاجـــرةٍ قـــــوامُ ديجورِ

حتى أَضَاءَتْ من الإيمانِ عَنْ قَبَسٍ قد كان تحتَ رمادِ الكفرِ ، مكفورِ

نورٌ طوَى اللهُ زند الكونِ منه على سقطٍ إلى زمـــنِ المهـــديِّ مذخور

وله أيضاً في الرثاء ، حيث قال يرثي أبا محمد عبد الله بن أبي العباس الجدامي المالقي [3]:

أبني البلاغةِ فيـــمَ حفلُ النـــــادي هَبْهـــــَا عُكـــاظَ فأينَ قسٌّ إِيـــادِ ؟

حسبُ الزمانِ عليكَ ثكلاً أنْ يرى مِـــنْ طـــولِ ليلٍ في قميصِ حِدادِ

---

[1]- عيسى . خليل محسن . أمراء الشعر الأندلسي. ص 134 .

[2]- الرصافي البلنسي. الديوان. ص 87.

[3]- المصدر نفسه. ص 63.

يومـــي بأنجمـــهِ لَمَـــا قلـــــــدتهُ مـــنْ درٍّ ألفـــاظٍ وبيـــضِ أيـــادِ

للهِ هُمْ فلشدَّ ما نَفَضـــُوا مِـــنَ أم تعةِ الحيـــاةِ حقـــائبَ الأجســـادِ

بأبي وقد ساروا بنعشكَ صـــــارمٌ كَثُـــرَتْ حَمـــــائِلُهُ على الأكْتَاد

وقال ارتجالاً في الغزل ، ويقال أنَّها أول شعره[1]:

غـــارَ بـــيَ الغـــربُ إذ رآني مجتمـــعَ الشمـــلِ بالحبيـــبِ

فـــأرســـلَ الماءَ عَـــنْ فِـــرَاقٍ وأَرْسَـــلَ الريـــحَ عن رقيبِ

[1]- الرصافي البلنسي. الديوان. ص 48 .

بعدما تطرقنا في المدخل التمهيدي إلى عصر الشـــاعر ، ورأينا كيف كانت الأوضاع التي مرَّ بها في حياته ، طبعاً ستُرسم في أذهاننا صورة المعانات التي واجهته ، وواجهت والده ، وما مدى تأثيرها في تشكيل شخصيته وتوجهه.

ثمّ انتقلنا للحديث عن حياة الشاعر مركزين في ذلك على مولده ، ونشأته . ثمّ بعد ذلك إلى تجربته الشعرية ، وأهم الأغراض التي تطرَّق إليها في شعره.

من بين الأغراض التي غلبت على طبيعة شعره ، واشتهر بها الرصافي البلنسي، الغربة والحنين . هذا ما سنحاول التطرق إليه في الفصل التالي ، معرّفين الغربة والحنين من حيث اللغة والاصطلاح . ثم ختامُ الفصل بموجزٍ حول شعر الغربة والحنين في الأندلس .

المـــدخـــل

عصر الشـــاعـر وحيـــــــاته

أولا: عصر الشاعر

ثانيا: حياة الشاعر

1- مولـــده ونشأته

2- تجربته الشعرية

الفصـــل الأول

شعر الغُربة والحَنين وتَطورهمَا في الأَندلُسْ

1- مفهُوم الغُربة لغةً واصطلاحاً

2- مَعْنَى الحَنين لغةً واصطلاحاً

3- نظرة موجزة في شعر الغربة والحنين في الأندلس

الفصـــل الثـانـي

مَوضُوعَات شِعرُ الغُربَة والحَنِينْ في شعر الرُصَافِي البَلَنْسِي

أولا: الحنين إلـى الوطـــن "بلنسية".

ثانياً: الحنين إلى الأقرباء والأصدقاء.

الفصـــل الثـالث

الدراســـــة الفنيـــة

أولا: البناء العام للقصيدة

ثانيا: البنـــاء الموسيـــقي

ثالثا: اللغـــة والأسلـــوب

رابعا: الصـــورة الشعـــرية

المصـــــادر

والـمـراجـــــع

مقدمـــــة

خـــاتمـــة

الفـــــهرس

1 – مفهوم الغربة لغة واصطلاحا:

أولا: لُغَـــة:

قبل الخوض في موضوعات شعر الغربة والحنين في الأندلس في شعر الرصافي البلنسي لا بُدَّ من الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة الغربة .

فلقد جاء في لسان العرب في مادة "غرب" «الغربة والغَرب : الذهاب والتنحي عن الناس ، وغرّب وأغرب وغرّبهُ وأغربهُ : نحّاه ، والتغريب : النفي عن البلد ، وغرَب : بَعُدَ ، والتغرّب : البعد ، والغربة والغُربُ : التروح عن الأوطان ...» [1].

كما ذكر الزبيدي في تاج العروس « التَّغرُبْ : بالفتح ، والغرب : النوى والبعد ، وأيضا الغَرْبُ والغُربَة : النُزُوح عن الوطن . والتَغريب : النفي عن البلد » [2].

و نجد أيضاً الجوهري في الصحاح يشير إلى هذا المعنى بقوله : «التغريب : النفي عن البلاد ، وأيضا غَرُبَ : بَعُدَ ، وأغرب عني أي تباعد»[3].

---

[1]- ابن منظور . لسان العرب . مادة (غرب).تحقيق مجموعة من الأساتذة. دار المعارف . القاهرة . مصر . (د.ط) .(د.ت) ص 3225.

[2]- الزبيدي ، محمد مرتضى . تاج العروس من جواهر القاموس . مادة (غرب) . المطبعة الخيرية . مصر .(د.ط). 1306 هـــ . ج 1 . ص 404

[3]- الجوهري ، اسماعيل بن حمادة . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . مادة (غرب) . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .دار العلم للملايين . بيروت . لبنان . ط4 . 1990 م . ص 325 .

ويقال أيضا «اغترب الرجل : نكح في الغرائب ، وتزوج إلى غير أقاربه»[1].

والغربة أو الاغتراب في المعجمات العربية تدل على « التروح عن الوطن أو البعد والانفصال عن الآخر»[2].

أمَّا الاغتراب « فهو طوعي يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الانسجام مع المجتمع والعجز عن الانتماء وعدم الرضى بالتقاليد والأعراف ، والمخالفة في الفكر والمعتقد» [3].

وصور الاغتراب كثيرة منها : الاغتراب عن الوطن ومنها الاغتراب داخل الوطن ، ومنها الاغتراب عن المجتمع ، أو الاغتراب عن الذات وكل هذه الأنواع مريرة وقاسية ويشعر صاحبها بالألم والوحشة والمرارة .

ومن أقوال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في الغربة ، يقول: «الفقر في الوطن غُربة ، والغني في الغربة وطن»[4] .

وفي الحديث أنّ النبي (صلّى الله عليه وسلم) سُئل عن الغرباء ، فقال :«الذين يحيون ما أمات النَّاس من سنتي» [5]. والمعروف أنَّ الصالحين في زمن الفتن يكونون غُرباء مُعَرَّضين لهجوم المُتطاولين وسُخرية الساخرين.

---

[1]-الجبوري ، يحي . الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان) . دار مجدلاوي . عمّان . الأردن . ط 1 ، . 2008 م . ص 290

[2]- المرجع نفسه . ص 291.

[3]-ينظر : المرجع نفسه . ص 294.

[4]-الشريف ، الرضى . نهج البلاغة . تحقيق محمد عبده . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت. لبنان. ط 1 .(د.ت) . ج4. ص 165 .

[5]- الجوزية ، ابن قيم . مدارج السالكين .دار الكتب المصرية . القاهرة . مصر . ط1 . 1292 هـ . ج2. ص 267 .

وفي حديث آخر قال : «إنَّ الإسلام بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ » [1]، (غَرِيبًا) أَيْ لِقِلَّةِ أَهْله وَأَصْل الْغَرِيب الْبَعِيد مِنْ الْوَطَن (وَسَيَعُودُ غَرِيبًا) بِقِلَّةِ مَنْ يَقُوم بِهِ وَيُعِين عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ أَهْله كَثِيرًا (فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ ، و(طُوبَى) تُفَسَّر بِالْجَنَّةِ وَبِشَجَرَةٍ عَظِيمَة فِيهَا . وَفِيهِ تَنْبِيه عَلَى أَنَّ نُصْرَة الإِسْلام وَالْقِيَام بِأَمْرِهِ يَصِير مُحْتَاجًا إِلَى التَّغَرُّب عَنْ الأَوْطَان وَالصَّبْر عَلَى مَشَاقّ الْغُرْبَة كَمَا كَانَ فِي أَوَّل الأَمْر.

ثانياً: اصطلاحاً:

أمّا من حيث الاصطلاح فالغربة فطرة في النفس البشرية «وهي تختلف من إنسان لآخر ومن مجتمع لآخر ، ذلك لأنها تتلون بطبيعة صاحبها ، وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات ، وبطبيعة العصر وما يحتويه من قيم أو أعراف ومعارف ، والغربة ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة ، ولكنها كانت غربة واضحة المصطلح والمفهوم ، بينما اتخذت لها صورا معقدة في العصر الحديث ، بل صارت من أكثر المفاهيم إثارة للجدل بسبب التعريفات الكثيرة التي وضعت لها» [2].

وهذا المصطلح العربي« يفيد في أكثره معنى البُعد عن الوطن، والفراق عن الأهل ، وهو معنى مكاني أكثر منه زماني كما نقرأ» [3]، حيث أنه يجسد لنا غربة المكان التي تتمثل في غربة الوطن .

والغربة نوعان: غربة مادية تتمثل في الغربة المكانية ، وغربة معنوية تتمثل في الغربة النفسية

---

[1]- الجوزية، ابن القيم . مدارج السالكين . ص 123.

[2]- بوقرورة ، عمر . الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث {1945-1962}.مركز منشورات جامعة باتنة . باتنة . الجزائر. (د.ط). (د.ت). ص 13.

[3]- المرجع نفسه . ص 14.

أمَّا الغربة المكانية فهي البعد عن الأهل والوطن لأسباب منها الاقتصادية أو سياسية «وما زالت النفسية العربية من أبعد العصور ، كما هي بمقوماتها ، لم يُبدِّل فيها الزمن كثيرا ، فالعربي ما يزال يخشى فراق الأرض التي نشأ فيها ، ويحس بالحنين وبالغربة أينما اتجه »[1].

وإذا تتبعناه من منظور تاريخي ، سنجد أنَّ العرب أشاروا إليه في معاجمهم ، وفهموه على أنَّهُ «الارتحال عن الوطن والبعد والهجر»[2].

أمّا إذا تتبعناه من الناحية النفسية ، فهو «انفصال الإنسان عن ذاته والعالم ، انفصالا يصبح معه غير قادر على التّناغم والانسجام ، لا مع نفسه ولا مع العالم »[3].

ليس فقط الفلاسفة وعلماء النفس ورجالات الاجتماع هم أكثر الناس استخداما لهذا اللفظ إلاَّ أن الشعراء قد صاروا أكثر استعدادا للترحيب بهذا اللفظ ، وبخاصية لما وجدوا فيه من أهمية وتعبيرا عن أزمة الإنسان .

وهذا ما أكَّد عليه المفكر الفرنسي "روجيه جار ودي R.Qaraudy "، حين قال :

«إنَّ الإبداع لهو الضّد المُقابل للاغتراب ، أو الاستلاب ، وماذا عسى أن يكون الإبداع إن لم يكن هو وعي الفرد بذاته ، من حيث هو حريّة ، تملك استقلالا ذاتيا ، وتقوى على الفصل في مصيرهـــا الشخصي ، في إطارها التـــاريخي الخـــاص ، مستخدمة كلّ ما تملك من قدرات علمية » [4].هذا بالنسبة من الناحية النفسية .

---

[1]– فهمي ، ماهر حسين . الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث . مطبعة الجبلاوي . مصر. ط 1 . 1970 م .ص 37.

[2]– ينظر :ابن منظور . لسان العرب . مادة (غرب).ص3226.

[3]– جان لابلانش. بونتاليس . معجم مصطلحات التحليل النفسي . ترجمة مصطفى حجازي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت ، لبنان . ط1. 1985 م. مصطلح فَصَال . ص 394 .

[4]– زكرياء ، إبراهيم . معنى الاغتراب عند الإنسان العربي المعاصر . مجلة العربي . العدد 194 . الكويت . جانفي 1975 م. ص152 .

أمَّا الاغتراب في العصر الحديث فنجد الكثير من التعريفات التي وضعت له من طرف المفكرين والكُتّاب ، فمفهوم الاغتراب لدى الفلاسفة الغربيين يختلف حسب اختلاف تلك المذاهب ،"فهيقل" يرى الاغتراب «أن يضيع الإنسان بشخصيته الأولى ، ويصير إنسانا آخر » [1]، أي أنه ينخلع عن شخصيته التي لطالما عاش بها ، ويصنع لنفسه شخصية جديدة تتماشى مع الواقع الجديد.

والاغتراب عند "ماركس" هو «أن يفقد الإنسان حريته واستقلاله الذاتي ، بتأثير الأسباب الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية ويصبح ملكا لغيره أو عبدا للأشياء المادية تتصرف السلطات الحاكمة فيه تصرفها في السلع التجارية» [2]. فقد ربط هنا الغربة بالحرية ، فيرى أنَّ الإنسان المغترب غادر أرضه ووطنه مكرها بسبب الأوضاع الصعبة أنداك .

أمَّا الوجوديون ، فالاغتراب عندهم «هو البُعد عن الوجود العميق للإنسان ، فعند الوجوديين إن الإنسان هو حرية» [3]، ذهب الوجوديين بعيداً نوعا ما ، حيث ربطوا غربة الإنسان بوجوده ، وكأننا نفهم من قولهم أنَّ الإنسان المغترب غير موجود.

---

[1]- صليبا ، جميل . المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية. الشركة العالمية للكتاب . دار الكتاب العالمي . بيروت . لبنان . (د.ط) .1994 م . ج1 ، ص 765.

[2]-المرجع نفسه . ص 765.

[3]- طحطح ، فاطمة . الغربة والحنين في الشعر الأندلسي. منشورات كلية الآداب بالرباط . مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء .المغرب . ط1. 1993م . ص 34.

2 – معنى الحنين لغة واصطلاحا:

أولاً : لغــة

فلقد أورد ابن منظور في كتابه لسان العرب في مادة (حنن) ، قوله : « حنَّ يحنُّ حنينا ، فهو حانّ ، والحنين: الشّديد من البكاء والطرب ، وقيل هو صوت الطرب كان ذلك عن حزن أو فرح ، ويقال حنَّت القوس إذا صوتت وأحنّها صاحبها »[1].

والحنين هو « : الشّوق وتوقان النفس ، والمعنيان متقاربان » [2].

ويقال «حنّت الإبل ، أي نزعت إلى أوطانها أو أولادها ، والنّاقة تحنُّ إثر ولدها حنيناً تطرب مع الصوت والحنون من الريّاح التي لها حنين كحنين الإبل ، أي صوت يشبه صوتها عند الحنين»[3].

وقد وردت كلمة "حنن" في كتاب الله عزّ وجل ، حيثُ يقول الله تعالى :

﴿ يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَـٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ ﴾[4].

ومن معانيه : «العطف والرّحمة» [5]، أي رحمة، والحنّان من صفات الله عزّ وجل أي ذو رحمة وتعاطف.

---

[1]- ينظر : ابن منظور. لسان العرب. مادة (حنن) . ص1029 . والفيروز، آبادي . القاموس المحيط . مادة (حنن) . المطبعة الأميرية . مصر . ط 3 . 1883 م . ص 197 .

[2]- ينظر : الجوهري ، اسماعيل بن حمادة . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. مادة (حنن). ص 562 .

[3]- ينظر: ابن منظور. لسان العرب . مادة (حنن) . ص .1029.

[4]- سورة مريم . الآية 12-13 .

[5]- ينظر: ابن منظور. لسان العرب . مادة (حنن) . ص 1030 .

ومن الحنين قول العجاج[1]:

حَنَّت قُلوصي أَمسِ بِالأُردُنِّ حِنّي فَما ظُلِمتِ أَن تَحِنّي [2]

ولعله حَنَى الصوت في المقام الأول ، لأنَّ الإنسان يدرك الصوت من الدابة ، أكثر من إدراكه حالة التروع في نفسها.

والعرب تقول : «وحنانك يا رب وحنانيك بمعنى رحمتك » [3]، ويُقال للأم البرة – الحانية – «وقد حنَّت على ولدها تحنو وتحننت عليه أي رقت عليه ورحمته » [4]. والحنان من صفات الله سبحانه وتعالى ، أي ذو الرحمة والتعطف[5].

ويقال في المثل «حرِّك لها حوارها تحنُّ» [6]، ومعناه ذَكِره ببعض أشجانه يهج له . ومن الأمثال أيضا : « ماله حانّةٌ ولا آنّه»[7]، أي ليس له ناقة ولا شاة ؛ فالحانّة هي الناقة ، والآنّة هي الشاة ، وقيل الآنة هي الأمَة لأنها تئن من التعب[8].

---

(1)- العجاج : عبد الله بن رؤبة السعدي ، راجز مجيد ، ولد في الجاهلية وأسلم ، توفي (95 هـ وقيل قبلها). تنظر ترجمته في : (ابن قتيبة . الشعر والشعراء . 2/575).

(2)- العجاج .الديوان. تحقيق عبد الحفيظ السطلى . مكتبة أطلس . دمشق. سوريا .(د.ط). (د.ت). ج 1 .ص 190.

(3)- ينظر: ابن منظور . لسان العرب . مادة (حنن) . ص 1031 . والزبيدي . تاج العروس من جواهر القاموس . مادة (حنن).تحقيق إبراهيم الترزي . طبعة الكويت . ط 3. 2000 م .ص 892 .

(4)- ينظر: الجوهري ، اسماعيل بن حمادة . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ص 564 .

(5)- ينظر : ابن منظور . لسان العرب . مادة (حنن) .ص 1029.

(6)- الميداني . مجمع الأمثال .تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السنة المحمدية . مصر . ط 2 . 1955 م . ج 1 . ص 191 .

(7)- المصدر نفسه .ص 292 .

(8)- ينظر : ابن منظور . لسان العرب. مادة (حنن) . ص 1031 .

حيث نجد أيضا «الحنّة بالكسر : رِقَّة القلب» [1]. فالحنين أيضاً يعني صوت القوس يُقال «حنَت القوس حنينا إذا صوتت» [2]، أي أصدرت صوتاً عند الإنباض .

وتحنّن عليه : أي رحمه ، ومنه قول الحطيئة [3]:

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ الْمَلِيكُ فَإِنّ لِكُــلِّ مَقَــامٍ مَقَالا

والحنين يعني البكاء والطرب « فهو الشديد من البكاء والطرب ، وقيل هو صوت الطرب كان ذلك عن حزن أو فرح»[4]. فالحنين هو الشوق وتوقان النفس .

---

[1]- ينظر: ابن منظور . لسان العرب . مادة (حنن). ص 1030 .

[2]- المصدر نفسه . ص 1031 .

[3]- الحطيئة .الديوان. شرح حمدُو طمّاس . دار المعرفة للنشر والتوزيع . بيروت. لبنان. ط2 .2005م ص 72.

[4]- ابن منظور. لسان العرب. مادة (حنن) .ص1029 .

ثانياً : اصطلاحاً

إذا كانت الغربة تعني الشقاء والضياع والألم ، فإن الحنين «بكل طاقاته يعني حياة السرور والبهجة والفرح ، لأنه يجسد لحظة أمل يعيشها الشاعر في ساعة من ليل أو نهار ، وإذا كانت الغربة تعني البعد والنوى ، فإن الحنين يعني القرب والعودة تفصل بينهما لحظة زمنية معينة يسبقها الشعور الطاغي بالحنين إلى الوطن »[1].

وتظل كلمات الحنين وايحاءاتها تدور في معنى الرّقة والعطف من انتقالها إلى معنى آخر وهو الحنين إلى الديار ، وهذا أمر طبيعي ، لأن الحانّ إلى وطنه يعبر عن حنينه ، ويصور شعوره بألفاظ ناعمة ، تعبر عن صدق الإحساس ورقة الشعور ، وفيض الوجدان ، وصدق التجربة والمعاناة ، فهي تنبع من نفس انسانية متنقلة .

والشعراء –كباقي الخلق- حينما يغادرون أوطانهم «إنَّما يغادرون فيها ذكرياتهم ، وملاعب صباهم ، وميدان أدبهم ، فإنهم لا بُدَّ من أن يحنُّوا إلى نخلة رمزت قصة حبهم ، أو لوادٍ حكى أثر محبوبتهم ، أو لسفحٍ أو لجبلٍ أو لمدينة .» [2]، فالمكان بمختلف مظاهره هو الهاجس الحقيقي الذي يثير فينا مشاعر الحنين ، بعد أن يثير مشاعر الغربة .

والحنين أيضاً « رحلة في الزمان ، وعودة إلى الوراء لمعايشة الماضي شعرا واسترجاعه ، واستحضاره على مستوى المكان والأهل والوقائع»[3].

وهو أيضاً « عاطفة سامية أودعها الله في الإنسان منذ الأزل وهي إحساس وشوق لولاها لقعد الإنسان عن آماله ونكص على نفسه» [4].

---

[1]- بوقرورة ، عمر . الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث. ص 18.

[2]- الطربولي ، محمد عويد . المكان في الشعر الأندلسي (من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي) .دار رضوان للنشر والتوزيع . الأردن . عمان . ط 1 . 2012 م . ص 326 .

[3]- طحطح ، فاطمة . الغربة والحنين في الشعر الأندلسي. ص 35.

[4]- المرجع نفسه . ص 36.

ويعتبر الحنين إلى الأوطان والأهل والأحباب « من رقة القلب وعلامات الرشد ، لما فيه من الدلائل على كرم الأصل ، وتمام العقل »[1].

وللقدماء كلماتٌ كثيرة مأثورة في الحنين ، تدل على نُبل هذه العاطفة وعُمقُها في النفس البشرية . قال أعرابي « لا تَشْكُ بلداً فيه قبائلكَ ، ولا تَجْفُ أرضاً فيها قوَابِلَكَ»[2].

وقال آخر : «ليس للإنسان لقنع بشيء منه بوطنه ، لأنه يتبرَّمْ بكل شيء رديءَ ، ويتذمّم من كل شيء كريه ، إلاَّ من وطنه ، وإن كان رديءَ التُربة كريهَ الغِذاء ، ولولا حُبُّ الناس للأوطَان ، لَخَرُبَ أخَايثُ الأرض والبُلدان» [3].

فالحنين « مصطلح أدبي طغى على الشعراء الذين ابتعدوا عن وطنهم فاعتراهم الشّوق إليه ، فكانوا يتغنون به وبجماله وهم يعبرون عنه ، ولا يكون شعر الحنين إلى الأوطان إذا كان المرء في وطنه ، إلا إذا كان في غربة نفسية »[4].

فقد كان الشعراء يكتبون شعراء رقيقا صادقا ، ولا سيما شعراء الفتوح ، والمقهورون البعيدون ، وبرز الحنين أكثر في عند شعراء المهجر الذين كانوا يحنُّون إلى وطنهم الشّام ولبنان[5].

حيث حضي شعر الحنين باهتمام النقّاد القدامى ، فقد عدوه غرضا شعريا كالمديح والهجاء والغزل وغيرهما من الأغراض الشعرية . ومن النقاد قُدامة بن جعفر حيث وضع الحنين تحت باب النسيب ، حين قال : «قد يدخل النّسيب التّشوق والتّذكر لمعاهد الأحبة بالرّياح

---

[1]- عتيق ، عبد العزيز . الأدب العربي في الأندلس. ص269.

[2]- المرجع نفسه . ص 169.

[3]- المرجع نفسه . ص 170 .

[4]- التونجي ، محمد . المعجم المفصل في الأدب .دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط2 . 1999 م. ص 385 .

[5]- ينظر : المرجع نفسه. ص ن .

الهابة ، والبروق اللامعة ، والحمائم الهاتفة ، والخيالات الطائفة ، وآثار الدّيار العافية ، وأشخاص الأطلال الدّاثرة » [1].

أمّا المرزوقي فقد جعله أول أغراض الشعر العربي القديم ، فقال : «والشعراء إنما أغراضهم التي يسددون نحوها ، وغايتهم التي يترعون إليها ، وصف الدّيار والأثار ، والحنين إلى المعاهد ، والمبالغة في التّشبيب بالنّساء ، والتّلطف في الاحتذاء ، والتّفنن في المديح والهجاء ...» [2].

وقد تفطّن إلى ظاهرة الحنين إلى الماضي أشهر كُتاب العصر العباسي وهو الجاحظ

"ت 255 هـــ" الذي سجّل رسالة في الحنين إلى الأوطان تحدث فيها عن حنين بعض الملوك المُهابة والأنبياء والأعراب إلى أوطانهم ، حيث قال : « فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والتزاع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلده إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جنابه. ولم يزل عظيم الشأن جليل السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغبٌ إليه، أو راهبٌ منه؛ فكان إذا ذكر التُّربة والوطن حنَّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها »[3].

ويورد الجاحظ أيضا بعض الأقوال في حب الوطن حيث يقول : «وشبَّهت الحكماء الغريب باليتيم اللَّطيم الذي ثكل أبويه، فلا أُمَّ ترأمه، ولا أبَ يحدب عليه»[4].

---

[1]- قدامة ، بن جعفر . نقد الشعر . تحقيق عبد المنعم خفاجي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .(د.ط).(د.ت). ص 134.

[2]- المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة . تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . دار الجيل للنشر والتوزيع .بيروت . لبنان. ط 1 . 1991م .ص 20

[3]- الجاحظ . الحنين إلى الأوطان .دار الرائد العربي. بيروت . لبنان. (د.ط).(د.ت). ص 4.

[4]- المرجع نفسه . ص 11.

ولقد أشار الناقد حازم القرطاجني في كتابه إلى الحنين دون أن يذكره بالاسم حيث يقول : «أحسن الأشياء التي تعرف ، ويتأثر لها ، أو يتأثر لها إذا عرفت ، وهي الأشياء التي فطرت النفوس على استلذاذها ، أو التألم منها ، أو ما وجد فيه الحالان من اللذّة والألم، كالذكريات للعهود الحميدة المنصرمة التي توحد النفوس ، تتلذذ بتخيلها وذكرها ، وتتألم من تقضّيها وانصرامها» [1].

والحنين بكل مسمياتها : «ذات إيحاءات عاطفية تعبر عن شفافية ورهافة في الإحساس ، وتحمل في ثناياها الإشفاق وتدور حول البكاء والطرب والشوق والرقة والحزن والفرح»[2] ،فهي مشتقة من الرحمة .

[1]- القرطاجني ، حازم . منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة . دار المغرب الإسلامي . بيروت . لبنان . ط2 . 1981 م .ص 21.

[2]- بوقرورة ، عمر . الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث. ص 18.

3 – نظرة موجزة في شعر الغربة والحنين في الأندلس :

شعر الحنين من الموضوعات التي طرقها الشعراء قديمًا وحديثًا، وتَمتاز بالعاطفة الصادقة والأحاسيس الحزينة. فهو تجربة شعورية خاضها الشاعر منذ القديم معبرًا عن شعوره بالفقد وإحساسه بالاغتراب من خلال أشعاره الرقيقة التي لا يكاد يخلو منها أدب أمة من الأمم.

فلقد حظي شعر الحنين باهتمام الدراسين منذُ وقت مبكر، فقد سعى هؤلاء إلى تقصّي ظاهرة الحنين إلى الوطن بمن فيه، منذ العصر الجاهلي، حيث عبر الشاعر الجاهلي عن حنينه وشوقه من خلال وقوفه على طلل الحبيبة الراحلة ، كما عبَّر عن لوعته وحزنه لبُعدها وفراقها.

لكن البداية الحقيقية لموضوع الغربة والحنين كانت في بداية عصر الدولة الأموية في الأندلس، نتيجة الابتعاد والاغتراب عن البلد الأم، ثم تطور وازدهر في العصور اللاحقة، ولا سيما لدى الأندلسيين. فإن كان المشارقة لهم فضل السبق في هذا الموضوع، فإن الأندلسيين قد لحقوا بهم، وتوسعوا فيه أكثر منهم من حيث الوفرة، أو قوة العاطفة، ولعل السبب في ذلك مرده إلى الأحداث السياسية في الأندلس، وسقوط معظم المدن الأندلسية بيد الملوك الإسبان، لعل هذا هو السبب المباشر في المحنة التي عاشها الأندلسيون، فقد قدّر على الأندلسيين أن يعيشوا محنة اغتراب مريرة بسبب سقوط المدن الأندلسية بأيدي النصارى، الأمر الذي دفعهم إلى الهجرة من ديارهم، وترك أوطانهم، وفراق أهليهم وأحبابهم إلى غير رجعة، فذاقوا مرارة الضياع والتشتت، فمنهم من نزل المغرب، ومنهم من رحل إلى المشرق. فكانت الغربة عميقة في نفوسهم. فنظموا أشعارًا من شدة اللوعة والحسرة والتشوق والمعاناة، وليس « كالاغتراب شيء يزيد من حنين الإنسان إلى وطنه وتعلقه به وهذا ما حدث لهؤلاء الأندلسيين، سواء أكان اغترابهم بالانتقال من الغرب إلى الشرق، أم بالانتقال لسبب أو لآخر من مدينة إلى مدينة بالأندلس»[1].

[1]– عتيق ، عبد العزيز . الأدب العربي في الأندلس . ص 173 .

ولعلَّ من الأسباب التي كانت وراء توسع موضوع الغربة والحنين لدى الأندلسيين على غرار المشارقة ، رحلات الأندلسيين إلى المشرق طلباً للعلم ، خاصة أنّ من رحلوا إلى المشرق كانوا من الكتَّاب والشعراء ، إضافة إلى «ظروف الأندلس التي كانت في حالة استنفار كونها ثغراً إسلاميا متاخما للعدو الإسباني ، بمَّا يتطلب المشاركة في الجهاد»[1].

إضافة إلى أنّ الراحل إلى المشرق سيقضي غيبة طويلة عن الوطن نظرا لبعد هذا القطر الأندلسي عن المشرق ، ممَّا يشعل في النفس مشاعر الشوق والحنين إليه . فكان هذا سبب في توسعهم في هذا الفن الشعري أكثر من غيرهم .

والمتتبع للشعر في الأندلس يكاد يزعم « أنَّ هذا الشعر في أغلبه شعر حنين واشتياق ، لأن شعراء الأندلس ظلوا على صلة وثيقة بالموروث الشعري ، حيث نجدهم يحاكون شعر المشرق ، وبخاصة القصيدة العربية القديمة» [2] ، وذلك شعور عميق بالانتماء إلى الأصل ، وإلى الجدور العربية والإسلامية .ويعد « الشعر الأندلسي في بدايته الأولى – أي خلال القرنين الأول والثاني- عبارة عن أبيات متفرقة يقولها الشاعر عند الحاجة ، فالمتتبع لذلك الشعر لا يظفر بقصائد شعرية كاملة فالحنين »[3] ، فلا يوجد في تلك الفترة «أديبٌ متخصص في الأدب ، لأن الأدب لا زال في أيامه الأولى ، وأن الأيام كانت أيام حروب واضطرابات»[4] .

فلقد رافق الحنين الشعراء في الأندلس في هذين القرنين . ومن الشواهد على ذلك ما نجده في بعض كتب الأدب الأندلسي من أبيات يعبّر فيها أصحابها عن حنينهم وتشبثهم بأوطانهم .

---

[1]- الداية ، محمد رضوان . في الأدب الأندلسي . دار الفكر للطباعة والنشر . سورية . دمشق . ط 1 . 2000 م. ص 131 .

[2]- دقالي ، أحمد . الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري) . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية .مصر . ط 1 . 2008 م . ص 28.

[3]- المرجع نفسه . ص29.

[4]- المرجع نفسه . ص ن . نقلا عن : أحمد .أمين . ظهر الإسلام . دار الكتاب العربي . بيروت. لبنان . ط5 .(د.ت) . ج4 . ص102 .

من ذلك مشهد استوقف الأمير "عبد الرحمن الداخل" [1]، عندما رأى نخلة في الرُّصافة ، وقد نبتت في أرض الأندلس التي لا عهد لها بهذه الشجرة ، فحركت أشجانه وتصورها غريبة عن موطن النخل بالمشرق ، فأحس بالحنين إلى أهله وإلى مواطن ذكرياته وأعادت له صورة الماضي فقال[2]:

تَبَدَّت لَنَا وَسْــطَ الرُّصــافَةِ نَخْلَةٌ تَنَاءت بأرضِ الغَرْبِ عن بَلَدِ النَّخْل

فقُلتُ شَبِيهــي في التَغَرُّبِ والنَّوَى وطُولِ التَّنَاءي عن بَنِــيّ وعن أهلي

نشَأتِ بــأرضٍ أنتِ فيها غَــريبةٌ فمِثْلُكِ في الإقصــاء والمُنْتأى مثلي

سَقَاكِ غَوَادِي المُزْنِ مِن صوبها الذي يَسُحُّ ويستمرِي السِّمــاكَين بالوَبْلِ

وقوله أيضا ما كتبه إلى أخته في الشام[3]:

أيها الــراكب الميمم أرضي إقــر مــن بعض الســلام لبعضي

إن جسمي كــما تراه بأرض وفؤادي ومالكــيــه بــــــأرض

قــدّر البيــن بيننــا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمــضي

قد قضى الدّهر بالفراق علينا فعسى باجتماعــنا سوف يقضي

---

[1]- هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، ولد سنة 113هـ ، أو قبلها . سمي بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من الأمراء الأمويين ، واسس الدولة بها . لقب بصقر قريش ، وهو لقب أطلقه عليه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور لما رأى منه ما فعل بالأندلس . توفي سنة 171هـ ، ودفن بقرطبة .

[2]- ينظر : المقري ، التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . ص 54.

[3]- المصدر نفسه . ص 38.

وإذا كان الحنين قد صوَّر حنين الملوك والأمراء فقد صوّر أيضا حنين الخدم والجواري ، فـــــــ (قمر) [1]قيّنة جُلبت من بغداد ، وعاشت في الأندلس في القرن الثالث هجري ، فأحست بالحنين إلى ذكرياتها في بغداد ، وأخذت تتأوه على فراق موطنها ، جاعلة من نفسها فداء لهذا البلد الذي عاشت فيه . وقد صوّرت شوقها وأشجانها من خلال قولها[2]:

آهـــا على بغـــدادها وعـــراقها وظبائـــها والسّحر في أحـــداقها

ومجـــالها عنـــد الفرات بأوجـــه تبـــدو أهلّتُـــها علـــى أطواقها

متبخـــتـــراتٍ في النعيـــم كأنما خُلق الهوى العذريّ من أخلاقها

نفسي الفداء لها فـــأيُّ محـــاسن في الدهر تُشرق من سنا إشراقها

أمَّا إذا انتقلنا إلى الخلافة **الأموية والحجابة العامرية** التي تعد بداية ازدهار الأدب الأندلسي « فقد كانت المواضيع تتراوح بين مقطوعات في الزهد والنصائح والاعتبار، وأحيانا نظرات مستخلصة خاطفة في الناس والزمان والحياة وغيرها من المشاعر الذاتية، بالإضافة – طبعا- إلى المديح الرسمي والهجاء والفخر والغزل والتشوق ...» [3].

ولكن طغيان هذه الأغراض لم يمنع من ظهور هذا الغرض (الغربة والحنين) عند بعض الشعراء "كحسان بن مالك" و"عبد الله بن الخشني" و"سليمان بن مهران السرقسطي" فنوى حسان بن مالك يُورَدُ له في الحنين وذكر الأولاد [4]:

سقـــى بلـــدا، أهلي بـــه أقـــــاربي غـــواد بأثقـــال الحيا وروائـــح

---

[1]- هي جارية ابراهيم بن الحجاج اللخمي صاحب اشبيلية . ذات فصاحة وبيان ، وقول شعره . ينظر: المقري . التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . ج3 . ص 397.

[2]- المصدر السابق . ص ن .

[3]- طحطح ، فاطمة . الغربة والحنين في الشعر الأندلسي . ص 53 .

[4]- الحميدي، عبد الله . جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس . تقديم الشيخ محمد زاهر بن الحسن الكوثري. تصحيح وتحقيق محمد بن تاويت الطبخي. مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع. مصر . (د.ط).(د.ت). ص 184.

وهبَّـــت عليهم بالعـــشـــيّ والضحى نواسم من برد الظـــلال فـــوائح

تذكـــرهم والـــنـــأي قد حال دونهم و لم أنس، ولكن أوقد القلب لافح

ومما شجـــاني هـــــاتف، فـــوق أيكة ينـــوح و لم أعلـــم بمـــا هو نائح

فقلـــت اتئد يكفيـــك أني لنـــــازح وأن الـــذي أهـــواه عـــني نازح

ولي صبيـــة مثـــل الفـــراخ بقفـــرة مضى حاضناها فأصحتها الطوائح

إذا عصفت ريح، أقـــامت رؤوســـها فلـــم تلقـــــها إلاّ طيـــور بوارح

ونتيجة انصهار المجتمع الأندلسي المتكون من عدّة عناصر وأجناس مختلفة في مجتمع واحد انعكست وحدته على الحياة الثقافية وأدى إلى ظهور نوع جديد من الشعر هو ما يعرف بـــ (الموشحات) في أواخر القرن الثالث الهجري . فإن بعض الشعراء قد ظلَّ محافظا على أصول الشعر العربي في المشرق، وهذا ما يدل على عمق إحساس الشاعر بقوميته ، وحنينه إلى أصوله الأولى .

وازدهر الشعر الأندلسي في القرنين **الرابع والخامس** الهجريين ، وبلغ أوجه في عهد ملوك الطوائف ، خاصة شعر الغربة والحنين ، نتيجة الانقسامات والمؤامرات الداخلية ، والاضطرابات السياسية . الأمر الذي دفع ببعض الشعراء إلى الابتعاد عن قرطبة إلى مدن أخرى مجاورة أو بعيدة ومن هؤلاء نذكر الشاعر ابن زيدون الذي قال يتشوق إلى قرطبة ومعاهده وأيامه بها[1]:

أقـــرطبة الغـــرّاء هل فيـــك مطمع ؟

و هـــل كبـــد حرّى لبينـــك تنقع ؟

[1]- ابن زيدون. الديوان. شرح وتحقيق كرم البستاني .دار صادر. بيروت. لبنان . (د.ط) . 1975 م. ص 38.

وهـــل لليالـيك الحميـــدة مرجـــع ؟

إذا الحنين مرأى فيك و اللهو مسمع

وإذا كنـــف الدنيا، لديك، مـــوطأ ؟

أليس عجيبا أن تشـــطّ النوى بك ؟

و لم تلتئـــم شعبي خـــلال شعابك ؟

و لم يك خلـــقي بدؤه مـــن ترابك ؟

وبرز في عهد هؤلاء، طبقة الفقهاء على حساب الشعراء مما دفع ببعض الشعراء إلى مغادرة بلدانهم إلى بلدان أخرى فصدرت عنهم أشعار في الحنين، ومن هؤلاء "الأعمى التطيلي" و"ابن بقي" وغيرهم. كما كان لسقوط إشبيلية في أيدي المرابطين، وصقلية في أيدي النورمان أثر بالغ على عدد كبير من الشعراء الذين غادروا بلدانهم اضطرارا أو اختيارا ومن هؤلاء "المعتمد ابن عباد" الذي حنَّ إلى إشبيلية وهو في منفاه بأغمات في المغرب، و"ابن حمديس" الذي حنَّ إلى صقلية من مكان غربته في إشبيلية. فالمعتمد بن عباد –مثلا– صدرت عنه أشعار بالغة التأثير وهو في منفاه ، من ذلك الأبيات التي يشكو فيها غربته [1]:

غريبٌ بِأَرضِ المغـــربين أســـير سَيَبـــكي عليه مـــنبـــر وسرير

مَضَى زمن والملك مستأنس به وأصبَحَ عنـــه اليـــوم وهو نفور

[1]- المعتمد ، ابن عباد. الديوان. تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد أشرف . المطبعة الأميرية . القاهرة . مصر . ط1 . 1951 م .ص 120 .

برأي من الدهر المضلل فاسد و مَتَى صلحت للصالحين دهور

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة أمامي وخلـــفي، روضة وغدير

بمنبتة الزيتون ، مورثـــة العلا تغنّـــي قيان، أو تـــرن طـــيور

تراه عســـيرا أم يسيرا مناله ألا كـــــل ما شـــاء الإله قدير

أمَّا في القرن **الخامس الهجري** فقد ازداد شعر الحنين تطوراً ، ومن أمثلة ذلك ما نجده من شعر ابن درّاج القسطلي[1](421هـــ) يحن فيه إلى زوجته ، ويجسد فيه صدق العاطفة ، ويؤكد مدى ارتباط الشاعر الأندلسي بموطنه ومسقط رأسه حتى عند انتقاله من مدينة إلى أخرى داخل الأندلس ، يقول[2]:

قالتْ وقد مزجَ الوداعُ مدامعاً بمدامـــعٍ ، وترائبـــاً بتـــرائب

أتفـــرقُ حتـــى بمنـــزل غربةٍ كَم نحن للأيام نُهْـــبـــةُ ناهب

فقد عبّر عن حالة الوداع لزوجته وهما في قرطبة بعيداً عن مسقط رأسيهما ، وقد امتزجت مدامعهما في لحظة فراق حزينة حتى أصبحا نُهْبَةُ للأسام.

هذا عن شعر الحنين في القرن **الخامس الهجري** ، «والأمر لا يختلف كثيرا في شعر الحنين خلال **القرن السادس** ، فالنصارى يهددون دولة الإسلام في الأندلس ، وشبح الانهيار يتراءى أمام أعين الناس ، والفتن الداخلية بين حكام الأندلس تطغى على معظم هذه البلاد ، الأمر

[1]- هو أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن عيسى بن دراج . ولد بقسطلة أحدى مدن غرب الأندلس ، من أسرة تنتمي إلى (صنهاجة) ، توفي سنة 421 هـــ ، ينظر :ابن سعيد . المُغرب في حُلى المغرب. ص60.

[2]- ابن عزيم .مختارات ابن عزيم . جمع وتحقيق د . عبد الحميد الهرامة . الدار العربية للكتاب .القاهرة. مصر . ط1. 1993 م. ص 41 .

الذي جعل الشعراء كغيرهم من عامة الناس يرحلون من مدنهم إلى مدن أخرى طلباً للأمن والاستقرار والعيش الكريم»[1].

فلقد اضطر **ابن خفاجة** إلى الخروج عن بلدته شُقر ، وعن شرق الأندلس جملةً «حين سطا القمبيطور الإسباني على تلك المنطقة وجعل بلنسية مركزا له»[2].

وقد لجأ ابن خفاجة إلى المغرب ، وممّا قاله هناك [3]:

فقلتُ ولي دمعٌ ترقــرقَ فاهمى يسيلُ وصبرٌ قد وهى فتضعضعا:

أَلا هل إلى أرض الجزيرة أوبةٌ فأسكن أنفاساً وأهدأ مَضْجَعا؟

وله أبيات أخرى ذائعة [4]:

إن للجَنَّـــــة بالأنـــــدلس مُجْتــلى مرأىً ورَيّــا نفَــسِ

فســنَا صُحــبتها مــن شَنَبٍ ودُجــا ليلتـــــها مــن لَعَــسِ

فــإذا مــا هبَّت الرّيح صــبا صِحــتُ : واشوقِي إلى الأندلسِ

وكأن الشاعر اختصر أحاسيسه ، وعواطفه ، واندفاعة قلبه ووجدانه بهذه العبارة (واشوقي إلى الأندلس).

---

[1]- دقالي، محمد أحمد . الحنين في الشعر الأندلسي. ص32.

[2]- ينظر: عنان ، محمد عبد الله . دولة الإسلام في الأندلس . مكتبة الغانجي . القاهرة . مصر . ط 4 . 1994 م . ج 1 . ص 256 .

[3]- الداية ، محمد رضوان . في الأدب الأندلسي. ص 134.

[4]- المرجع نفسه . 135.

والأندلس جنَّةُ الله في أرضه ، وهم لا تغادرهم صورة بلادهم ، ولا يملُّون من ذكرها والتشوّق إليها . وهذا التصور من الشعراء لبلادهم قديمٌ ، يرجع إلى الوافدين الأوائل حتى آخر زمان المسلمين في الأندلس . « بل إنَّ ذكرى الأندلس ما تزال ماثلة في نفوس حملة مفاتيح الدُّور والبيوت الأندلسية التي يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد لمتلكاتهم هناك ، وهي ذكرى دخلت في نفوس العرب والمسلمين ، ولو لم يدخل أجدٌ من أجدادهم تلك الدّيار »[1].

ومن يرجع إلى دواوين شعراء العرب في العصر الحديث يجد الوجود الأندلسي ماثلا ، وكأن العرب ما يزالون يحرّكون حيوية الحياة في ذلك الفردوس العزيز .

[1]- الداية ، محمد رضوان . في الأدب الأندلسي. ص 132.

من خلال هذا الملخص نخلُصُ إلى أنَّ غربة شعراء الأندلس «هي غربة أنطولوجية ووجودية ، غربة المكان ، غربة النفي في وطن غير الوطن ،ووسط أهل غير الأهل ، غربة الروح عن الجدور ....» [1].

وهكذا نجد أن شعر الحنين في الأندلس قد تطور خلال رحلته الزمنية تلك ، وازدهر ، وبلغ أوجه في القرن السابع الهجري ، نتيجة ما واكبه من أحداث سياسية واجتماعية ، وأصبح شعر الحنين مرآة تعكس واقع وحياة الأندلسي عامة .

[1]- طحطح ، فاطمة . الغربة والحنين في الشعر الأندلسي.ص 20.

بعد التطرق لمفهومي الغربة والحنين من حيثُ اللغة والاصطلاح ، وبعد موجز تقصّينا فيه ظاهرة الغربـــة والحنين في الأندلس ، ورأينا فيه كيف عبّر الشاعر الأندلسي عن شوقه وحنينه إلى الوطن بمن فيه . إلى أن وصلنا بالدراســـة لعصر الموحدين ، حيث هناك "الرصافي البلنسي" شاعر بلنسيـــة الحزين ، الذي قضى بقية عمره متشوقاً إلى معاهد صباه ، وإلى ذلك الزمن الجميـــل ، حيث كان هناك الرفقة والصحب والخلاّن .

سنحاول في الفصل التالي التعرّض لمواضيع الغربة والحنين التي تطرّق لها الرصافي البلنسي ، المتمثلة في : الحنين إلى الوطن ، التي تعتبر بلنسية قِبلة شوقه وحنينه ، والحنين إلى الأقرباء والأصدقـــاء الذين وُسِدُوا أغلبهم تحت الثَرى .لنرى كيف عبّر الشاعر عنهم من خلال قصائد الشوق والحنين التي بأيدينا .

أولاً: الحنين إلى الوطن

الحنين إلى الوطن فطرة في الإنسان ، تجدبه إلى وطنه ، ومراتع صباه ، وهي «مستولية على الطباع ، مستدعية أشد الشوق إليها» [1]. و لم يقتصر الحنين على البشر بل شمل الحيوان ، «فالإبل تحنُّ إلى أولادها ومرابضها» [2]، ولذلك كان الحنين غريزة في نفس العربي في بدايته ، وارتبط الحنين إلى الأوطان بكرامة الإنسان واعتزازه ، وكانت الغربة عن الوطن هماً شديداً ، حيث يروى أنه قيل لأعرابي : «ما الغبطة ؟ قال : الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان ، وقيل : فما الذل ؟ قال : التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان»[3] . فالأرض التي درج الإنسان على ظهرها ، وتنسَّم هواءها ، وتغذى بغذائها ، وشرب من مائها ، منها أجزاؤه التي أنبنى بها جسمه ، وخواطره التي انعقد عليها فكره ، فهو من هذه الأرض بجسمه وفكره وعقله وأمله [4].

وصوّر القرآن الكريم ظاهرة حب الوطن والتمسك به تصويراً قوياً حين جعل الخروج من الديار وقتل النفس متساويين ، قال تعالى :﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ ﴾[5]. وحنّ الأنبياء إلى أوطانهم ، فيوسف عليه السلام لّما أدركته الوفاة أوصى أن تحمل رمته إلى مقابر آبائه ، فمنع أهل مصر أولياء يوسف من حمله ، فلما بعث الله

---

(1)- الإبشيهي، شهاب الدين . المستطرف في كل فنّ مستظرف . دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر . بيروت . لبنان .ط1 . 1992م . ص308 .

(2)- الجبوري، يحي .الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان) . دار مجدلاوي. الأردن . عمان.ط1. 2008 م . ص 9.

(3)- المرجع نفسه . ص ن.

(4)- ينظر : الإبياري ، إبراهيم .في الوطن الأدب العربي. دار القلم .القاهرة . مصر . (د.ط). 1962 م. ص 153.

(5)- سورة النساء . الآية 36 .

موسى عليه السلام ، وأهلك على يديه فرعون وغيره من الأمم ، حمل رمته إلى تربة يعقوب بالشّام[1].

وكذلك « يعقوب مات بمصر وحملت رمته إلى إيليا ، وهناك قبر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام»[2].

والرسول (صلى الله عليه وسلم) كان كثير الحنين إلى وطنه «حتى أنه اغرورقت عيناه ، حين سمع أحد الصحابة يصف له مكة ، ويقول حين يسأله الرّسول ، كيف تركت مكة ؟ تركتهم وقد حيدوا وتركت الأذخر، وقد أغدق»[3] . ومنذ القِدَم ارتبط ا الشوق والحنين بالوطن «فصار الحنين إلى الأوطان شائعاً في كل العصور سواء للوطن والقبيلة والحي أم للشعب والأمة الكبيرة ، وسواء أكان مسقط رأس أم لم يكن ، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحبٌ وحنين»[4].

فلقد عرف العربي الوطن منذ العصور القديمة ، وحنَّ إليه ، فصور الشعر العربي أشواق الشعراء وحنينهم إلى أوطانهم ومراتع صباهم ، منهم امرؤ القيس حيث يقول[5]:

وما جَبُنَتْ خَيْلي ولكن تذَكَّرتْ مرابِطَها من بَرْبَعِيصَ وَمَيــسرا

ويقول عنترة [6]:

أحرَقَتنِـــي نارُ الجوى والبِعَـــادِ بعدَ فَقْـــدِ الأوطانِ والأولاَدِ

---

[1]- ينظر : الجاحظ . الحنين إلى الأوطان. ص 35 .

[2]- المرجع نفسه .ص 36.

[3]- الجبوري ، يحي . الحنين والغربة في الشعر العربي. ص10.

[4]- المرجع نفسه. ص ن .

[5]- امرؤ القيس . الديوان .تحقيق مصطفى عبد الشافي . دار الكتب العلمية. بيروت . لبنان .ط 5. 2004 م . ص 70 .

[6]- عنترة ، بن شداد. الديوان . دار صادر . بيروت . لبنان . ط1 .1968 م .ص67.

ويقول أيضا طرفة [1]:

عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِك فِيْهِ الفَرَائِصُ تُرْعَــدِ

وجاء ذكر الوطن في الشعر الإسلامي في شعر عمر بن أبي ربيعة[2] :

قد هاجَ قلبكَ بعد السَّلوة الوطن وَالشَّــوْقُ يُحْدِثُهُ لِلنَّازِحِ الشَّجَنُ

ولذا تطرقنا لظاهرة الحنين إلى الوطن في شعر الأندلسيين ، يتضح أن موضوع الحنين إلى الوطن حظي باهتمام الشعراء ، وقد زادوا على كثير من شعراء الأقطار الأخرى من حيث الوفرة ، أو قوّة العاطفة ، أو رنّة الأسى ، أو لهفة اللقاء ، نظرا لظروف الأندلس التي كانت في حال استنفار متواصل ، حيث «كانت ثغراً من ثغور المسلمين تحتاج إلى يقظةٍ دائمة ; وكان أهلها من الشيوخ والشبان والفتيان في حال استعدادٍ دائم ، ومشاركة مستمرة في حركات الجهاد في أرض العدو أو في الدفاع عن الوطن» [3].

وما يلاحظ أن نزعة الحنين إلى الوطن ضاربة بجذورها في المجتمع الأندلسي ، مستولية على أعماقه ، «فالإحساس بالغربة يستبد بالشاعر الأندلسي حتى حين يرحل من مدينة إلى أخرى ، داخل الأندلس نفسها» [4]. والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقبل تطرقنا إلى دراسة موضوع الحنين إلى الوطن لدى الرصافي البلنسي ، جلي بنا أن نستعرض بعضاً من مواقف الشعراء الأندلسيين ، وكيف كان التعبير عن حنينهم إلى أوطانهم ، فنذكر منهم مثلا الشيخ الإمام "أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية المحاربي" ، قاضي المرية الذي لم يستطع مفارقة قرطبة فقال من قصيدة يستودع فيها أهلها [5]:

---

[1]- طرفة ، بن العبد . الديوان. دار الكتاب العربي . بيروت. لبنان . ط1 . 1997 م .ص 117.

[2]- عمر بن أبي ربيعة . الديوان . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة . مصر .ط1 . 1960 م ص 281 .

[3]- الداية ، محمد رضوان . في الأدب الأندلسي . ص 131 .

[4]- فوزي ، عيسى . الشعر الأندلسي في عصر الموحدين . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية . مصر . ط 1 . 2008 م . ص 115.

[5]- المقري، التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . ص 616 .

أستودع الله أهل قرطبـــــة حيث عهدت الحياء والكَرَمَـــا

والجامـــع الأعظم العتيق ولا زال مدى الدهر مـــأمنا حرما

ولا ننسى أيضا أن بيئة وطبيعة الأندلس تلعبُ الدور الكبير في تعلُّق الأندلسيين إلى بلدهم ، فقد قال لسانُ الدين الخطيب عن جمال الأندلس : «خصَّ الله تعالى بلاد الأندلس من الريع وغدق السقيا ، ولذاذة الأقوات ، وفراهة الحيوان ، ودرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبخر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية ، وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وابيضاض ألوان الإنسان ، ونبل الأذهان ، وقبول الصنائع ، وشهامة الطباع ، ونفوذ الإدراك ، وإحكام التمدن والإعمار بما حرمه الكثير من الأقطار مما سواها»[1]. فكل هذه الخيرات ، وهذا النعيم ، جعل من ابن خفاجة وغيره من الشعراء يتعلقون بهذه القطعة الجميلة ، وبطبيعتها الساحرة ، فقد عبَّر ابن خفاجة عن تعلُّقه وحبِّهِ للأندلس حيثُ قال [2]:

يَأَهلَ أَندَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ ماءٌ وَظِلٌّ وَأَنهارٌ وَأَشجارُ

ما جَنَّةُ الخُلدِ إِلّا في دِيارِكُمُ وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ

لا تَختَشوا بَعدَ ذا أَن تَدخُلوا سَقَراً فَلَيسَ تُدخَلُ بَعدَ الجَنَّةِ النارُ

وهناك أيضا شاعر آخر عبَّر عن حنينه إلى وطنه "بلنسية" بعدما هاجر إلى تونس بعد أن سقطت مدينته بيد الأعداء النصارى ، إنه الشاعر "ابن الأبّار" الذي نظم شعراً يتشوق فيه ويحِّنُ إلى مسقط رأسه "بلنسية" التي اضطر إلى تركها . يقول [3]:

يا أهـــلَ وُدِّي ، لا أَرَومُ تـــدانيا مِنكُـــمْ وَدَرُكُـــم تَبْينُ وَتَنْزِحُ

إنْ كانَ جِسْمِي شطَ عنْ مثواكُمُ فالقلبُ ثـــاو بَيْنَكُـــمْ لا يبرَحُ

---

[1]- المقري، التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . ص 126 .

[2]- ابن خفاجة. الديوان . تحقيق مصطفى غازي .منشأة المعارف . الإسكندرية. مصر . (د.ط) . 1960 م .ص 364.

[3]- الطويل، يوسف . مدخل إلى الأدب الأندلسي .دار الفكر اللبناني . بيروت . لبنان . ط 1 . (د.ت). ص 141 .

هذي الجَــوانِحُ بالجَــوى مَملوءةٌ ممَّا أميــلُ لَكُمــْ ومِمَّا أَجْنَحُ

يبدو أن الشاعر محبٌ لوطنه ، رحل عنه بجسده لكن قلبه باقٍ في وطنه بين أهله وأحبابه لن يفارق الوطن .

أمَّا إذا انتقلنا إلى الرصافي البلنسي ، الذي هو موضوع دراستنا ، لنرى كيف عبَّر عن حنينه وشوقه إلى وطنه ، من خلال القصائد التي وصلت إلينا ، نجد أنَّ الصورة واضحة أمامنا ، ففي جلِّ قصائده نجد تلك اللمسة التي تثير فينا المشاعر ، وتجعلنا نتشارك الأسى والحنين داخل جوٍ مهيب ، مليء بالمشاعر والأحاسيس ، حيثُ عاشه الشاعر وفي فؤاده ألف ذكرى ، لبلنسية والرصافة ، وجسر معانٍ ، وإلى أصحابه ورفاء طفولته.

فمن خلال دراسة قصائد الحنين إلى الوطن للرصافي البلنسي نجدها تتمحور في مظهرين هما :

1- الحنين إلى الوطن "بلنسية" :

عندما تجفُ الدموع في الجفون، ورنين الكلمات يتحول إلى صدى ، تضيع الصور بين صفحات الذكريات ، ويمضي الوقت بعيدا يتوار عن انظار الزمن ، يتلاشى سراب الحلم ويحيا الواقع عميقا ، صافياً دون غبار ، بين طيات الذكريات يولد الحنين ، حنين الوطن، الحنين إلى بلنسية ، تلك القطعة الساحرة في شرقي الأندلس ، مسقط رأس الرصافي البلنسي ، فيها عاش فترة صباه ، ثم غادرها وهو صغير لأسباب كما سبق الذكر ، وظلَّ يتذكر من بلنسية معاهدها الهامة ، كالرصافة نفسها ، وجسر معان ، والبحيرة والنهر ، والمناظر الطبيعية ، وهو يقول في بعض قصائده متشوقاً إلى بلنسية[1] :

بِلادي التي رِيْشَتْ قُــوَيْدِيمَتي بها فريخــاً وآوتني قرارتَها وكْرا

مبــادئ لينِ العيشِ في ريِّقِ الصِّبا أَبى اللهُ أَنْ أَنْسى لها أَبداً ذِكْراً

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان . ص 68 .

فهو قد قضى فيها "ريق الصبا" ، فأغلب الظن أنه بلغ فيها سنَّ المراهقة . فمُنذ مغادرته بلنسية أخده الشوق والحنين إلى مرتع الصبا ، فأرض بلنسية هي أول ما رأت عين الرصافي سهولها وبطاحها ، وتغلغلت في رئته أنسامها ، ولعبَ مع أصحابه بين أحجارها ، فهي التي تشده حبال الحنين إليها ، فمن علامات الرشد أن تكون النفس إلى بدها تواقة ، وإلى مسقط راسها مشتاقة .

وإلى تلك المعالم التي أَبَتْ ذاكرته إلاَّ نسيانها . حيث يقول في بلنسية [1]:

بَلَنْسِيَةٌ تلكَ الزَّبْرَجدَةُ التي تسيلُ عليها كلُّ لؤلؤةٍ نَهْرا

كأنَّ عَرُوساً أبدعَ اللهُ حُسْنَها فصيَّر مِنْ شَرْخِ الشبابِ لها عُمرا

تُؤبَّدُ فيها شَعْشَعانيةُ الضُّحَى إذا ضاحكَ الشمسُ البحيرةَ والنهرا

تزاجمُ أَنفاسُ الرياحِ بزهرها نُجُوماً فلا شَيْطانَ يَقرَبُها ذُعْرا

هي الدرَّةُ البيضاءُ من حيثُ جِئْتَها أضاءَتْ وَمَنْ للدرِّ أَنْ يُشْبِهَ البَدْرا

الرُصافي البلنسي في هذه الأبيات أطلقَ العِنَانَ لقلبه وأفسحَ المجال لعواطفه للتعبير عن جمال وأبهة بلنسية ، حيث وصفها بتعابير راقية جميلة ، فهي " **الزَّبْرَجدَةُ** " ، وهي "العَرُوسُ" ، وهي " **الدرَّةُ البيضاءُ** " ، فكلُّها تعابير تنوءُ عن جمال وسحر تلك القطعة التي ترامت أطرافها شَرْقِي الأندلس تلك هي "بلنسية"، التي شهدت سماؤها لحظة ميلاده ، فبكل عبرة حنين، يصرخ الرصافي بآهات مغترب ، ينادي اسم وطنه بأنين مشتاق ، لكل سواد وبياض ، لكل طيبة وقسوة ،للنور والعتمة ، لكل بسمة ودمعة .

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 70 .

نراهُ أيضاً يهيمُ متشوقاً إلى بلنسية في موضعٍ آخر ، متذكراً مدارج صباه حيث يقول في مطلع قصيدته [1]:

خليليَّ ما للبيدِ قد عَبَقَتْ نَشْـــرا وما لِرُءُوسِ الرَّكْبِ قد رُنِّحَتْ سُكْرا

هل المسكُ مَفْتوقاً بِمَدْرَجَةِ الصَّبا أمِ القومُ أجـــروْا مـــنْ بلنسيةٍ ذكرا

خليليَّ عُوْجـــا بي عليهـــا فانَّهُ حديثٌ كَبَـــرْدِ الماءِ في الكبدِ الحَرَّى

الحنين إلى الأوطان انتماء وولاءٌ وحبٌ وحنين ، فالرصافي كما نرى يُعَبِّر بشـــوقٍ عـــن حنينه إلى وطنه بلنسية ، ويتشوقُ إلى العودة إليها . ففي هذا الصياغ أوَّدُ الإشـــارة إلى نقطـــة مهمة هنا ، وهو أن الرصافي كما سلف الذكر أنه سافر إلى المغرب وزار مكناسة الزيتـــون ، وقيض له في هذه الرحلة أن يجتاز بحر الزقاق ، فكيف له أن يجتازَ كلَّ هذه المسافة إلى المغرب، و لم يفكر في العروج على بلنسية موطن شوقه وحنينه ، والمغرب كما هو معروف أبعد بكثير من بلنسية ، وكأنَّ الشاعر هنا متناقضٌ في التعبير عن شوقه لزيارة بلنسية ، أو أن الأمر يُعْنَـــى بإشكالية المكان والزمان ، فربما الرصافي يعاني من غربة زمانية ، يغلُبُ عليه ذلك الحـــنين إلى الزمان ، والحنين إلى الماضي ، وإلى الخلان، ولا يهتمُ كثيرا بالمكان من حيثُ هو مكان ، وإنما يتمثل في بلنسية ذكرياته وماضيه، ولو عاد إليها لما وجد شيئاً من تلـــك الـــذكريات وذلـــك الماضي، صحيح أن الرصافة والجسر والبحيرة والمتنزهات كانت هنالك ، ولكن ليس ذلك هو المحك ، وإنما هي السن التي لم تعد تسمح باللهو بين تلك الربوع . وهم الأصدقاء الذين أخذت الأخبار تتحدث كيف درجوا واحداً بعد آخر .

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 67 .

2- الحنين إلى الوطن وطبيعته الجميلة :

ومن مظاهر الحنين إلى الوطن ، الحنين إلى الطبيعة الساحرة ، فمن خلال حنين وشوق الشعراء إلى أوطانهم، أجتذبهم الحديث والتغنِّي بجمال طبيعة أوطانهم ، وخاصة الطبيعة الـــتي سحرت عقولهم وأفئدتهم ، فلم يَعد يرى وهو خارج الوطن إلاَّ الصور الجميلة الزاهية للوطن .

فنجد الرصافي البلنسي شاعر بلنسية ، هذه الأخيرة التي تزخر بطبيعة ساحرة خلاَّبة ، تتميز بالبساتين والمياه الجارية ، فلا ترى فيها إلا مياهاً تتفرع ، ولا تسمع إلا أطياراً تسجع ، ولا تستنشقُ إلا أزهاراً تنفح ... ويقال أن ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس .

وتُعدُّ الرُصَافة من مُتَنَزَهَاتْ تلك المدينة التي عُرفت بالجمال الطبيعي ، فقد حظيت بمكانة كبيرة عند الشاعر ، فمنها نَسَبُهُ "الرصافي" ، فمن ذلك يقول في وصف الرصافة [1]:

ولا كالرُّصَـــافَةِ مِـــنْ مَنْزِلٍ سقتهُ السحائبُ صوبَ الوَلِي

أَحِـــنُّ إِليها وَمَـــنْ لي بـــها وأَين السَّـــرِيُّ من المَـــوْصِلِ

فهُنـــا يحِّن الشاعر إلى الرصافة ومن بها ، ويحن إلى منزله وما يحيط به ، ولقد ذكر الرصافي هنا السري وهو رفاء مثله من الموصل ، ذكره لاشتراكهما في نفس الواقعة ، فكلاهما ابتعد عن وطنه ، فقد عاش السري بعيداً عن وطنه أكثر عمره .

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 118 .

ونجد الرُصَافة أيضاً في موضعٍ آخر وهذا إن دلَّ إنما يدلُ على مكانتها وشوقه الشديد إليها، معبراً عما يختلج صدره من حنين صادق ممزوج بالحزن والأسى ، إذْ يقول [1]:

بِجِسْرِ مَعــانٍ والرُّصــافة إِنَّــهُ على القطرِ أنْ يسقي الرصافةَ والجسْرا

هنا يرفق الشاعر ذكر الرصافة بجسر معان ، فالرُصَافة ضاحية ومتنزهات بين بلنسية والبحر ، والجسر ولعله قائم على نهرها. وكلاهما من طبيعة بلنسية الساحرة التي سحرت قلب الرصافي وأخذت من شوقه وحنينه ما أخذت ، وهذا يدل على جمال وأبهة الرصافة وكذلك الجسر .

ونجده يذكر جسر معان في موضعٍ آخر ، إذ يقول [2]:

أَمُوَدِّعَيْنِ و لم أُحَمِّــل قُبــْلَةً نَعْلَيْكُــمَا {تُهْدَى} لِجِسْرِ مَعانِ

في هذا البيت يود الرصافي طبع قبلة على نعلي صديقيه المتوجهين إلى الوطن ، ليقدماها لجسر معان ، الذي سيمران عليه حتماً . وهذا يدل على شوقه الكبير، وحنينه للجسر .

إلى أبياتٍ أخرى ، حيثُ نجد الشاعر يصفُ لنا الطبيعة ومناظرها الجميلة في قولــــه[3] :

نبــاتٌ كأنَّ الخدَّ يحملُ نَوْرَهُ تخــالُ لجيناً في أَعــــاليهِ أَوْ تِبرا

وماءٌ كترصيعِ المجــرَّةِ جَلَّلَتْ نواحيــهُ الأزهارُ فاشْتَبكتْ زُهرا

أَنيقٌ كريعانِ الحياةِ التي خَلَتْ طليقٌ كريَّانِ الشبابِ الذي مــرَّا

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 68 .

[2]- المصدر نفسه . ص 132 .

[3]- المصدر نفسه . ص 69 .

فالرُصَافي هُنَا ما عاد يذكر من بلاده سِوَى المناظر المُشرقة الجميلة ، التي بقيت صورتها ذات بصمة قوية في ذهنه لا تُفَارقُه ، فَهُنَا يَصِفُ لنا ما تحمله الطبيعة الأندلسية من جمال وأُبهةً ، واصفاً لنا شكل النبات تحت أشعة الشمس وما يعكسه من نور ، والمياهَ وكيفَ أحاطت بها الأزهار من كل ناحية ، متذكراً طفولته التي مضت ، حيث العيش الرغيد الممزوج بالسرور والهناء .

وفي أبيات أخرى للرصافي نجده يعبر عن شوقه وحزنه لمفارقة بلده ، حيث يقول [1]:

يا راكباً واللّوَى شمالٌ عن قَصْدِهِ والغَضَا يمينُ

نجداً على أَنَّهُ طريقٌ تَقْطَعُهُ للصِّبَا عُيُونُ

فهنا يحنُّ الرصافي إلى وطنه ، ويفتقده، فيرسل سلامه إليه ، واصفاً جمال طبيعته ، فيتذكر نجداً التي تعتبر من أشهر متنزهاتها ، التي حظي بأوقات جميلة بها في صغره ، فاشتاقت عينه لمنظرها الزاهي الجميل ، فأطلق العنان لقلبه وشوقه للتعبير عنها .

ويقول الرصافي أيضا في معبراً عن شوقه الدفين إلى موطنه [2]:

وقلْ على أيكةٍ بوادٍ للوُرْقِ في قُضْبها حنينُ

يا أيكُ لا يدعي حمامٌ ما يجدُ الشيِّقُ الحزينُ

لو أَنَّ بالوُرْقِ ما بقَلْبِي لاحْتَرَقَتْ تَحْتَهَا الغُصُونُ

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 131 .

[2]- المصدر نفسه . ص ن .

في هذه الأبيات لمسة جميلة ، وتصوير رائع ، حيثُ يضعُ الرُصافي نفسه محلَّ مقارنةٍ مع شوق الوُرق إلى الأغصَان ، وكأنَّ الأَوراق تَحِّن بعد سقوطها إلى قُضْبِها أو إلى الأغصان من جديد ، ثمَّ في البيت الأخير يعبر عن مدى شوقه وحنينه إلى وطنه بتعبير جميل ، حيث يجعل فارقاً كبيراً بينه وبين الوُرق ، إذ لو كان محلَّ الورق لاحترقت الغصون و لم تحتَمِل شوقه ومدى حنينه إلى موطنه .

نجده أيضاً يتشوق إلى طبيعة بلنسية الساحرة التي تسلبُ الألباب ، حيث يقول [1]:

فيا غَيْنَةَ الجرعاءِ ما حالَ بيننا سوى الدهرِ شيءٌ فارْجعي نَشْتَكي الدَّهرا

تَقَضَّتْ حياةُ العيشِ إلا حُشَاشةً إذا سألتْ لقياكِ عَلَّلْتُها ذِكْرا

وكم بالنَّقا من روضةٍ مُرْجَحِنَّةٍ تَضَمَّخُ أَنْفاسُ الرِّياحِ بها نَشْرا

ومن نُطفةٍ زرقاءَ تلعبُ بالصَّدَى إذا ما ثنى ظلٌّ مُدارٌ بها سمرا

وبردُ نسيمٍ أنثني عند ذكرهِ على زَفَراتٍ تَصْدَعُ الكبدَ الحرَّى

وإن لباناتٍ تَضَمَّنها الحَشا قليلٌ لديها أنْ نضيقَ بها صدرا

فبمجرد قراءتنا لهذه الأبيات نرى أن الرصافي يشكو الدهر الذي أبعدهُ بدون سؤالٍ عن موطنه ، فيتذكر الرصافي طبيعة بلنسية الساحرة ويصف لنا المياه الزرقاء ، والروض والرياح ،والنسيم .

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان.ص 74 .

ونجد أن الرصافي أيضاً كرَّر فكرة تصوير الشعراء في حنينهم لأوطانهم بالجنَّة ، حيث قال [1]:

وقالوا هَل الفردَوسُ مَا قَدْ علمته فَقُلتُ ومَا الفِرْدَوسُ في الجنَة الأخرَى

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 69 .

ثانياً : الحنين إلى الأهل والأقرباء والأصدقاء :

من الطبيعي أن يحنَّ المرء إلى أهله ، وأقربائه ، وأصدقائه ، وإلى تلك الذكريات التي قضاها معهم بما تحمله تلك الذكريات من أيام حلوة، وأيام مُرَّة ،ومواقف محزنه ، تشرق شمس الصداقة والمحبة في القلوب، تغمرها بالدفء و بالحب الصادق ،والبسمة البريئة من ملوثات التصَنُّع و التكلُّف ، تنمو بين الجوانح، فننتظر بلهفٍ ذلك اللقاء الذي سيجمعنا من جديد ، نسترجع فيه تلك الذكريات القديمة ، التي أبت إلاَّ أن تُفَارق الروح . ففراق الأصدقاء مؤلم ،نعم محزن ، والشوق والحنين إليهم أشدُ ألماً ، فدموع العين يصعب فِرَاقُها ، فهي كالختم الذي لا يزول ، فحينما نودع أجزاء من أفئدتنا و نرحل، قد تهيج أشجاننا و تذرف مآقينا و تتنهد أجوافنا وترسم ضحكة دامعة لذكرى نحتفظ بها عنهم، و نغمض أجفاننا و نراهم في أحداقنا و تنبض بحبهم قلوبنا فهم فيها وإن بعدت بيننا المسافات . فالرصافي البلنسي الشاعر الذي لم يُخيَّر صغيراً ، إن كان يريد البُعد ومفارقة أصحابه وأحبابه أو البقاء هناك في بلنسية ، ذَاكَ ما دفع ضريبته أَدْمُعاً حرَّا ،تهيمُ أشواقَه إلى ذاك الزمن البعيد ، حيثُ السرور والهناء ، حيثُ الصحبُ والرفيقْ ، الذين أصبحوا هجوعاً ببطن الأرض ، فقد تفترق الأجسادُ يوماً ، ولكن القلوب حتماً في عناقٍ أبدي . يذكر الرصافي ذلك في أبياته ، حيث يقول[1] :

أكـــــارمُ عاث الـــدهر ما شاء فيهم فبادت لياليهم فهل أشتَكِي الدَهْـــرَا

هُجوعٌ ببطن الأرض قد ضرَبَ الرَّدى عليهـــم قُبيباتٍ فُوَيْقَ الثَّرى غُبْـــرا

تقَضَّـــوْا فمن نجـــمٍ هنالكَ ســـاقطٍ أبى الله أن يرعى السِّماك أو النَّسرا

ومَـــنْ سابقٍ هـــذا إذا شـــاء غـــايةً شأي غيرَ مجهودٍ جيادَ العلا حُضْرا

أنـــاسٌ إذا لا قيتَ أعمارهم فتطَلَّعوا هـــلالَ ثلاثٍ لو سنا رَقّ أو بَدْرا

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 71.

ثَكَلْتـــهم ثُكْلاً دَهَـــى العينَ والحَشَا ففَجَّر ذا مـــاءً وسَجَّـــر ذا جمـــرَا

كفى حَزَنَـــــا أني تباعدتُ عنهم فلم ألقَ مَنْ أسَـــرَى مخفًّا ولا سَرّا

وإني متى أســـألْ بهم كـــلَّ راكبٍ ليُظهـــرَ لي خيـــراً تأبطَ لي شـــراً

أباحثُه عـــن صـــالحَاتٍ عَهـــدتُها هنـــاك فينبيني بما يَقصِـــمُ الظَّهرا

مُحيّـــا خليلٍ غـــاض مـــاءُ حياته وســـاكنُ قصرٍ صار مسكنُه االقَبْرا

وأزْهَر كالإصباح قد كنتُ أجتلي سناهُ كما يستقبـــل الأرِقُ الفَجرا

من خلال هذه الأبيات نستنتج أن جميـــع أصحاب الرصافي الذين عهدهم في ذلك الزمن البعيد إمَّا أن يكونوا قد غادروا البلاد لأسباب ، أو تخطَّفتهم أيدي القدر ، فلا غاية ترجى من بلنسية ما لم يكن فيها الصحبُ الذي شاركه طفولته وأيام صباه .

ويواصل الشاعر ندبه لريعان الشباب ، معاهد الخلان والأصدقاء باكياً على مـــاضيه السعيـــد معهم ، وعاتباً على الدهر ، فيذكر صديقاً له في أبيات ، حيث يقول [1]:

فتىً لم يكن خِلْوَ الصِّفاتِ من النَّدى و لم يتنـــاسَ الجـــودَ أعْدَمَ أو أثرى

يُصَـــرِّفُ مـــا بين اليراعة والقـــنا أنـــاملَهُ لا بـــل هَـــواطِلَهُ الغـــرَّا

طـــويلُ نجـــادِ السيـــف لان كأنما تخطَّى بـــه في البرد خَطِّيّـــةً سمرا

سَقَتـــْه على مـــا فيه مـــن أريحية خلائقُ هُنَّ الخمرُ أو تشبهُ الخمرا

ونَشْـــرُ محيا للمكـــارم لو سَـــرَت حُميّـــاه في وَجْهِ الأصيل لما اصفّرا

هل السَّعـــدُ إلا حيث خُطَّ صعيدُهُ فمـــا بَلَّ في شَفْرَيْ ضريحٍ له شَفْرا

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 72 .

طويـــتُ الليـــالي طيَّهـــن وإنمـــا طويـــنَ {به} عني التَّجلُدَ والصَّبراَ

فـــلا حُـــرِمتُ سقيـــاه أدمُع مُزْنَةٍ ترى مَبْســـمَ النّوار أصفَـــر مُغْبـــّرا

في هذه الأبيات للرصافي يحنُّ إلى صديقٍ له ، فيتذكر خصاله التي عرفها به ،فراحَ يعرضُ لنا تلك الصفات متشوقاً إليه ، وحزينا في نفس الوقت لفقدانه ، فرحيل الأقران لوعة وغربة شديدتان في نفس الشاعر ، فهو إذ يرثي خلاّنه إنما يرثي نفسه وشبابه، فيتأسف على رحيل صديقه ، فسرعان ما يلتفت إلى نفسه فيبكيها ويلوم زمانه الذي جرّده شبابه و لم يترك له سوى الحزن والبكاء على الشباب والأصحاب معاً .

فانقطاع الشاعر عن أقرانه وأصحابه الذين يخطفهم الموت يزيد من غربته النفسية والزمانية ، وإحساسه ببطء حركة الزمن في الليل أو ليل الأسى الطويل بالمقياس النفسي والرؤية الداخلية وليس بمقياس الزمن الموضوعي وهذا الإحساس « يضاعف من عذاب الفراق وعـــذاب الأرق لأن الفراق والأرق يندفعان ببعضهما داخل الشاعر فيرى الليل طويلا لا آخر له»[1].

(1) - حيدة ، عبد الحميد .مقدمة لقصيدة الغزل العربية . دار العلوم العربية للطباعة والنشر . بيروت . لبنان . ط 1 .1992 م . ص 54 .

تبيّن لنا من خلال الفصل السابق أنَّ الشاعر "الرصافي البلنسي" عاش تجربة الحنين على المستوى الحياتي الواقعي . وقد برزت هذه التجربة في نتاجه الشعري وصارت واقعاً شعرياً كرسته نظرة الشاعر إلى الوطن وإلى معاهد الصبا .

وكما هو معروف أنَّ الشعراء الأندلسيون انتهجوا الأساليب الفنية القديمة التي سار عليها من سبقهم من شعراء الأندلس ، فلم يكن الشاعر الأندلسي ليتجاوز في أساليبه الفنية الخصائص المألوفة في الشعر العربي ، حيث ساد الاتجاه التقليدي على خصائص هذا العصر . وما ذلك إلاَّ نتيجة لحب الأندلسيين للمشارقة ، واعتزازهم بنتاجهم الأدبي ، وقد كانت الظروف السياسية التي سادت في العصر من الأسباب التي دفعتهم إلى التمسك بدينهم وتراثهم بحكم انتمائهم إلى أهلهم في المشرق . فعلى الرغم من أنّ الشعراء الأندلسيين لم يحدثوا مذهباً جديداً لهم إلاَّ أنّهم ساهموا في إبراز ملامح الشخصية الأندلسية من خلال أشعارهم المستحدثة، نتيجة لاختلاطهم بالعناصر الأخرى .

من هنا كان لا بد في هذا الفصل الأخير من دراسة الخصائص الفنية والأسلوبية، وتتبع موضوع الغربة والحنين في شعر الرصافي البلنسي على المستوى الفـــني ، لنرى كيف عبّر عنها الشاعر فنياً ، وذلك من خلال دراسة عناصر التشكيل الفـــني لهذه التجربـــة وهي : البناء العام ، واللغة والأسلوب، والموسيقى ، والصورة الشعرية.

أولاً: البناء العام للقصيدة:

تحدث النقاد كثيراً عن بنية القصيدة العربية ، من استهلال ، وانتقال بين الأغراض المختلفة ، ومدى إجادة الشعراء هذا الانتقال ، أو قلة الإجادة ، كما تحدثوا عن الوحدة العضوية أو الموضوعية في القصيدة العربية بإسهاب ، كما تحدثوا عن خواتيم القصائد ، وماذا اشترط النقاد في هذه الخواتيم ، فقال الجرجاني في ذلك :«أن الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة ، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور ، وتستميلهم إلى الإصغاء»[1] .

فإذا انتقلنا إلى الحديث عن شعر الغربة والحنين في الأندلس ، من حيث الطول والقصر ، وجدناه على صورتين : المقطعات ، والقصائد .

أ. المقطعات:

كثرت المقطعات الشعرية التي جاءت في الحنين إلى الوطن والأحبة والأهل ، والأصدقاء ، وعصر الشباب وغيرها من المفتقدات ، لأنها مجرد نفثات للمستطار ، أو مجرد وصف للذين يعيشون تجاربهم الوقتية ، ويصفونها بسرعة ، ذلك أن المسافر، أو المبعد ،لا وقت لديه لإطالة القصائد ، بل ربما حلَّ مدينة ذكرته بمدينته التي غادرها ، أو ربما حلَّ بمترل ذكره مترلاً غابَ عنه . والمقطعات لا تتجاوز السبعة أبيات ، فلا وقت لديه للشرح والتفصيل ، ومن هذه المقطعات ما قاله الرصافي البلنسي معبراً عن شوقه وحنين لرصافة بلنسية [2]:

ولا كالرُّصَافَةِ مِـــنْ مَنْـــزِلٍ سقتهُ السحائبُ صوبَ الوَلِي

أَحِنُّ إِليها وَمَنْ لي بـــها وأَيـــن السَّـــرِيُّ مـــن المَوْصِلِ

---

[1]- ينظر : الجرجاني ، علي. الوساطة بين المتنبي وخصومه . تحقيق وشرح. محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي .المطبعة العصرية. بيروت. لبنان.ط1. 2006 م .ص 48.

[2]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 118.

يجسّد البيتان السابقان موقفا شعورياً صادقاً ، يعبّر عن مدى شوق وحنين الشاعر إلى الرصافة ، التي تصاقب حضرة بلنسية ، فلا عجب في ذلك ، فرصافة بلنسية قطعة جميلة من الطبيعة الأندلسية تسلبُ الألباب ، بما تحويه من علامات الجمال والأبّهة .

وقال أيضا مخاطباً المسافرين العائدين إلى وطنه "بلنسية" [1] :

يا راكبـــاً واللّوَى شمالٌ عن قَصْدِهِ والغَضَا يمينُ

نجـــداً على أَنَّـــهُ طريقٌ تَقْطَعُـــهُ للصِّبَـــا عُيُونُ

وحيٍّ عنِّي إِنْ جـــزتَ حيَاً أمضَى مَوَاضيهمُ الجفونُ

وقلْ على أيـــكةٍ بوادٍ للورقِ في قُضْبها حنيـــــنُ

يا أيكُ لا يدَّعي حـــمامٌ ما يجدُ الشيِّـــــقُ الحزينُ

لو أَنَّ بالـــورقِ ما بقلبـــي لاحْتَرَقَتْ تحتَـــها الغُصُونُ

من شوق الرصافي وحنينه إلى موطنه ، وهو بمالقة ، أصبح يترقب كل مسافر جعل من بلنسية قِبلَتَه ، ليأتيه بأخبار البلاد والعباد ، غير أنه لم يُشر إلا لأماكن تاقت نفسه إلى رؤيتها .

أمّا في المقطعة الآتية فيخاطب فيها الرصافي صاحبيه المتجهين إلى الوطن ، مودعاً إياهما بكل شوقٍ ، حيث تتّسم هذه الأبيات بوحدة الفكرة ، وقوّة العاطفة ، حيث يقول [2]:

يا صاحبيَّ على النَّوَى ولأنتُما أَخوَا هَوَايَ وَحَبَّذَا الأَخَوَانِ

خُوْضَا إِلى الوطَنِ البعيدِ جوانحـــي إِنَّ القلوبَ مَوَاطِنٌ الأَوْطَان

ولبثتمـــا عِنْـــدِيْ طليـــقَيْ غُرْبَةٍ وَلَفَظْتُما عُلَقَ المَشُوْقِ العاني

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان . ص 73.

[2]- المصدر نفسه. ص 131 – 132.

أَمُوَدِّعَيْنِ ولـــم أُحَمِّـــلْ قبـــلةً نَعْلَيْكُمَا{تُهْـــــدَى}لِجِسْرِ مَعانِ

ففي الأبيات السابقة نرى أنّ الشاعر استهلَّ مقطعته بنداء "يا صاحبيَّ" ، فهو هنا ينادي صاحبيه اللذين سيغادران إلى أرض الوطن ، مودعاً إياهما ، حيث ختم المقطعة ببيت جميل ورائع يعبر عن مدى اشتياقه لـــ "جسر معان" .

لم تكثر المقطعات في الحنين إلى الوطن في ديوان الرصافي ، حيث تنوعت بين مدحٍ ،ووصفٍ، ورثاء. فكما نلاحظ وجدنا ثلاث مقطعات فقط في الحنين إلى المعاهد والأحباب ، بينما عدد المقطعات بالإجمال في الديوان "52" مقطعة .

هذه هي المقطعات الشعرية التي أفردها الرصافي في الشّوق والحنين إلى الوطن ،والأهل والأحبة ، مبرزاً فيها شوقه ونزعته الدّائمة إلى تلك المفتقدات ، وقد حاول الشاعر من خلالها طلب الصور ،وإيجاد التعليل ، حسناً كان أو مستهجناً . وتكاد معظم المقطعات الشعرية التي قالها الرصافي في الحنين أن تكون ذات موضوع واحد ، قائمة على فكرة واحدة ، هي الشّوق والحنين ، فلم يظهر من خلالها البناء الفني العام للقصيدة الطويلة ، من حيث المقدمة ، والتخلص الذي ينتقل فيه الشاعر من غرض إلى آخر دون أن يشعر المتلقي بذلك ، وخاتمة ذات وقعٍ ، تبقى في الأسماع .

ب. القصائـــــد :

وهي ما زاد عدد أبياتها على سبعة لدى بعض النقاد[1]، أو ثمانية أو غير ذلك ، وقد أخذت الرأي الذي عدَّ القصيدة ما زاد عن سبعة أبيات ، وقد بلغت هذه القصائد في هذه الدراسة : ثلاثة .

ولدى عرضها على معايير النقاد في بناء القصيدة من حيث : المطلع ، والتخلص، والخاتمة ، يتبين لنا ما يأتي :

1- المطلع :

حرص الشاعر الأندلسي على حسن اختيار مطالعه ، كونها فاتحة النص التي تدعو المتلقي إلى الدخول في عالمه الشعري ، حيث أطلق عليه النقاد القدماء حسن الابتداء والاستهلال ونال عنايتهم فالشعر«قفل ، أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع ، وبه يستدل على ما عنده من أوّل وهلة»[2]. كما إجادة المطلع تُعَدُّ دليلاً على مقدرة الأديب [3].

لذلك اشترط النقاد في المطلع أن يكون دالاً على موضوع القصيدة ، وغرض الشاعر من نَظمها ، دون أن يكون في ذلك تصريح مباشر، «بل إشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم ، ويستدل بها على قصده من عتب أو عذر ، أو تنصّل ، أو تهنئة ، أو مدح أو هجو»[4].

---

[1]- ينظر : العسكري، أبو هلال . كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر .مطبعة محمود بك .طبع برخصة نظارة المعارف الجليلة . مصر.ط1 . 1319 هـ. ص 489 .

[2]- القيرواني ،ابن رشيق . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة . بيروت . لبنان.ط5 . 1981 م .ج1 .ص 217 .

[3]- ينظر : ابن الأثير، ضياء الدّين . المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب .تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة .دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة. القاهرة. .(د.ط). (د.ت). ج 2 .ص277 .

[4]- الحموي ، ابن حجة. خزانة الأدب وغاية الأرب .تحقيق عصام شعيتو . دار ومكتبة الهلال . بيروت. لبنان. ط1 . 1987 م .ج 1 . ص 30 .

وإذا قام الباحث بتطبيق ما قيل من آراء حول المطلع على شعر الحنين عند الرصافي البلنسي، فنلاحظ أنّه اعتنى بمطالع قصائده ، ومن مظاهر هذه العناية ، اختيار الألفاظ السهلة الأنيقة ، وتنويع الصيغة بين الخبر والإنشاء حتى يستمتع المتلقي بها ، وينظر إلى ما بعدها بشغفٍ .

فمن أروع الأمثلة على المطلع الحسن ما ذهب إليه الرصافي البلنسي الذي أحسن مطلع قصيدته ، فقد أظهر براعة في الاستهلال حين قال [1]:

خليليَّ ما للبيدِ قد عبقتْ نشْرا وما لِرُءُوسِ الرَّكْبِ قد رُنِّحَتْ سُكْرا

حيثُ استفتح البيت بكلمة "خليليَّ" ، وهي كلمة متداولة في مطالع القصائد العربية ، وهي تعني الصديق الخالص ، فنجد الكلمة متداولة في الشعر الجاهلي عند كثير من الشعراء ، من بينهم النابغة الجعدي الذي أحسن استفتاحَ قصيدته حينَ قال [2]:

خَلِيلَيَّ عُـــوجا ساعَةً وَتَهَجَّرا وَلُوما عَلى ما أَحدَثَ الدَهرُ أَو ذَرا

أمَّا في الأندلس فنجد لسان الدين الخطيب يستفتح أيضاً قصيدته بـــ "خليليَّ" حيث يقول[3]:

خَلِيلَيَّ إن اشتقتني مـــرة تشوقك القـــلب مـــني مرار

فالمطلع السابق للرصافي البلنسي يكشف عن نفسٍ دائمة الشوق والحنين إلى الوطن المفتقد ، بألفاظ سهلة وواضحة ، وقوية ومؤثرة في المتلقي.

---

[1]- الرصافي ،البلنسي . الديوان. ص 67 .

[2]- النابغة ، الجعدي . الديوان . جمع وتحقيق واضح الصمد . دار صادر . بيروت. لبنان.ط1 . 1998 م .ص 98 .

[3]- ابن الخطيب ، لسان الدين. الديوان . صنعه وحققه وقدم له د. محمد المفتاح . دار الثقافة . الدار البيضاء .(د.ط) . 1989 م . ص 123.

ومن المطالع الحسنة أيضا للرصافي ، يقول [1]:

ذاتَ الجنـــاحِ تَقَلـــّبي بجوانـــــحِ القَلْبِ الخَفُـــوقْ

يشير هذا المطلع إلى حالة الشاعر النفسية ، وما يعتريها من قلقٍ وحزن ، إذ هيَّج الحمام أشواقه وحنينه إلى وطنه الغائب، وعلى الرغم من ذلك لم يُهْمِلْ الرصافي مطلع قصيدته ، فقد أشار من خلاله إلى فحوى القصيدة وغرضها العام ، وهو الحنين إلى الوطن .مخاطباً فيها الحمام في قوله "ذَاتَ الجَنَاحِ" .فلا نجد في ديوان الشعر العربي طيراً حظي بالمكانة الخاصة التي حظي الحمامُ بها ، فهو بريدُ العُشَّاق ،وأنيس المحزونين ،وسمير المغتربين.فلقد حظي بمكانة خاصة في الشعر العربي وتناوله الشعراء في قصائدهم على مر العصور ، حتى نراه ها هنا مجسدا في الأندلس ، في مطلع قصيدة للرصافي البلنسي .لذلك لم نجد طائراً من الطيور كالحمام له كلَّ هذا الرصيد الضخم من الشعر العربي. فلقد وجد العربي في هديل الحمام بكاءً حزيناً يلقى صدى في نفسه الملتاعة ، وكثيراً ما سمعنا الشعراء يُعَاتِبُون الحمامة لأنها تنوح نواحا كاذباً ، فهي لا تذرف الدموع في حين أنّ نواح الشاعر يكون مصحوباً بالدمع الهتون كما هو حال الشاعر.

ومن جَميل مطالع قصائد الرصافي في الشوق والحنين ، نجد لديه أيضاً [2]:

سَقَى العهـــدَ من نَجْدٍ معـــاهدَه بما يغارُ عليها الدَمعُ أَنِ تَشْرَبَ القَطْرَا

ابتدأ الرصافي قصيدته بفعل "سَقَى" ، وهو فعل متداول كثيراً كفاتحة واستهلال في القصائد العربية القديمة و الحديثة ، استعمله الشعراء في التعبير عن شوقهم إلى أوطانهم وأهلهم ، ومعاهد صِبَاهم من خلال الدعاء لهم بالسُقْيَا .

---

[1]- الرصافي ،البلنسي . الديوان. ص 109 .

[2]- المصدر نفسه . ص 73 .

2- التخلُّص :

اهتم النقاد بالتخلُّص: حسنه ، وقبحه ، لأنه نتيجة طبيعية لوجود مقدمة تمهد للدّخول في الموضوع الرئيس للقصيدة ،حيث اعتبر هؤلاء النقاد أنّ «الانتقال إلى الموضوع الرئيس هو النقلة المعنوية الأبرز بين تلك الموضوعات»[1]. ويعرّف التخلص بأنه «هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى آخر يتعلق بممدوحه ،بتخلص سهل يختلسه اختلاساً رشيقاً دقيق المعنى ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقع في الثاني ، لشدّة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما ، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد»[2].

ويعتبر ابن رشيق القيرواني أن الانتقال إلى الموضوع الرئيس ، هو النّقلة المعنوية الأبرز بين تلك الموضوعات [3].

ومن الأمثلة على التَخَلُّصَات والانتقال من موضوع إلى آخر في هذه الدراسة ، قول الرصافي البلنسي [4]:

و لم أطْوِ عنها الخَطْــو هجــراً إذاً فلا لَثَمت نَعْلي مساكها الخَضْــرَا

ولكــنَّ إجلالًا لتُرْبَتِهَا التــي تَضُمُّ فتاها النَّدْبَ أو كَهْلَهَا الحَرَّا

---

[1]- القيرواني، ابن رشيق . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ص 239 .

[2]- الحموي، ابن حجة. خزانة الأدب وغاية الأرب .ص 329 .

[3]- ينظر: القيرواني ، ابن رشيق . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .ص 239 .

[4]- الرصافي، البلنسي . الديوان . ص 71.

إلى أن يقول[1]:

أَكَارِمُ عَاثَ الدهر مَا شَـــاَء فيهمَ فَبَادَتْ لَيَالِيهم فَهَلْ أَشْتَكِي الدَّهْرَا

لقد تخلَّص الشاعر من الأبيات الأولى التي وصف فيها بلنسية وجمال طبيعتها الساحرة ثم تخلص بعد ذلك إلى الحنين إلى أصحابه الذين في الغالب هم هجوعٌ ببطن الأرض .

ومن بين التخلُّصات الجميلة للرصافي أيضا [2]:

أَنيقٌ كـــريعانِ الحيـــــــاةِ التي حلَتْ طليـــقٌ كريَّانِ الشبـــــابِ الـــــذي مرَّا

وقـــــــالُوا هل الفردوس مَا قَدْ علمتهُ فَقُـــــلتُ وَمَا الفردوس في الجنَّة الأخرى

إلى أن يقول [3]:

بَلَنْسِيَـــــةٌ تلكَ الزَّبْـــرَجدَةُ الـــتي تسيلُ عليـــها كـــــلُّ لُؤلؤةٍ نَهْرا

ويتفنَّن الرصافي البلنسي في التخلُّص ويحسنه ، حين قام بوصف طبيعة الأندلس من ماء، وأنهار، ونبات ، ثم أحسن التخلص إلى وصف مسقط رأسه بلنسية ، حيث وصفها بأبهى وأروع الصفات المعبرة فعلاً عن شوقه وحنينه إليها .

وبذلك فإن حسن التخلّص له دور بارز في إظهار الوحدة العضوية للقصيدة بأبهى صورها وأكملها ، ولكن إن تخبَّط الشاعر و لم يحسن تخلصه أفسد اللوحة الشعرية ، وأساء إلى هذه الوحدة إساءة كبيرة .فحسن التخلّص لدى الشعراء وخروجهم من موضوع إلى آخر يشعر القارئ بالتحام الأجزاء وتماسكها ، وهذا يدل على قدرة الشاعر وطول باعه عند النقاد .

---

[1]- الرصافي، البلنسي . الديوان. ص71.

[2]- المصدر نفسه. ص 69 – 70 .

[3]- المصدر نفسه. ص 70 .

3- الخاتـــمة :

حرص الشعراء على أن يختموا قصائدهم بأحسن خاتمة ، لأنَّها آخر ما يبقى في الأسماع ، فإن كان ابن رشيق القيرواني قد أشار إلى أن المطلع مفتاح، لم ينسَ أن يجعل لهذا المفتاح قفلاً حيث يقول « قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً وجب أن يكون الآخر قفلاً»[1] . لذا يجب أن تكون نهاية القصيدة مناسبة للغرض الذي نظمت من أجله، ويكون أجود أبيات في القصيدة .ولعلَّ اهتمام الوشاحين بالخرجة هو من هذا المقام ،وقد جاءت الخواتيم في كثير من المقطعات و القصائد ومنها ختام قصيدة شوق وحنين إلى بلنسية للرصافي البلنسي حيث يقول [2]:

معاهـــدُ قد ولَّت إذا مـــــا اعتبرتَها وجدتَ الذي يحلو مِنَ العيشِ قد مرَّا

وخيرُ الختام مَا ختم به الرُصافي قصيدتَه ، فقد رضيَ بالأمر الواقع ، بأنَّ معاهد الصبا قد ولَّت ، وَوَلَّى معها حلوُ العيش .

وقد أجاد أيضاً في قصيدة التي يخاطبُ فيها الحمامة ، شاكياً لها ما يعانيه من شوقٍ وأرقٍ ، آملاً أن توصلَ سلامَهُ إلى أرض الوطن ، إلى أن يختم قصيدتهُ بقوله [3]:

أَنَّ القِـــــــــرَى عَبَـــــرَاتُهُ فتعلَّـــــمي لقـــطَ العقيـــــقْ

وخيرُ ما يختم به الرصافي قصيدته ، وصف حاله ، فمن عِظَمِ شوقه إلى معاهد الصبا، دموعهُ مُلَئَتْ القِرَى.

ولكن يجب الاحتراس من أنَّ هذه النهايات قد لا تكون هي النهايات الفعلية للقصيدة ، إذ قد تكون ثمة أبيات قد ضاعت و لم تصل إلينا ، ولابدَّ إلى التنويه أيضا إلى أن الشعراء في

---

[1]- القيرواني، ابن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ص. 239 .

[2]- الرصافي، البلنسي . الديوان. ص 73 .

[3]- المصدر نفسه. ص110 .

الأندلس، لم يقصدوا تحسين الخواتيم قصداً ، بل كان ذلك استجابة لطبع ، وما أجمل ما ختم به الرصافي مقطعة كتبها في الشوق والحنين حيث يقول [1]:

أَمُوَدِّعَيْـــنِ و لم أُحَمِّـــــل قُبْلَةً نَعْلَيْكُـــــمَا {تُهْدَى} لِجِسْرِ مَعَانِ

ثانياً: البناء المـــــوسيـــقي :

الموسيقى من أخصّ خصائص الشعر العربي ، والوزن القافية عنصران مهمان لإحداث الموسيقى الشعرية ، ولا يمكن عند القدماء بناء قصيدة بدونهما ، حيثُ كانوا« لا يرون في الشعر أمراً جيداً يميزه من النثر إلاّ ما يشتمل عليه من الأوزان والقوافي، وكان قبلهم أرسطو في كتاب "الشعر" يرى أن الدافع الأساسي للشعر يرجع إلى عمليتين : أولاهما غريزة المحاكاة أو التقليد ، والثانية غريزة الموسيقى أو الإحساس بالنغم»[2] واشترط قُدامة بن جعفر أن يكون اللفظ«سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة»[3].

إذن ، فالشعر كلام موسيقي تنغم لموسيقاه النفوس ، وتتأثر بها القلوب ، ولا ينكر أحدٌ ما للشعر الموزون من إيقاع يساعد على الطرب ، وبخاصة إذا كان حسن التركيب ، معتدل الأجزاء ، يجمع بين صحة الوزن ، وصحة المعنى .

وبالنظر إلى طبيعة الموسيقى التي تنتج عن قصيدة ما تنقسم إلى قسمين : موسيقى خارجية ، وموسيقى داخلية ، ولا يقل أحد القسمين أهمية على الآخر ، لأن كل قسم يؤدي وظيفة موسيقية معينة ، ولا تخرج موسيقى شعر الحنين في هذا العصر عن القسمين السابقين ، فالقسم الأول هو الظاهر ، يتمثل في الوزن وما يستخدم الشاعر من بحور شعرية تتناسب والغرض

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 132 .

[2]- أنيس، إبراهيم . موسيقى الشعر . مكتبة الأنجلو المصرية . مصر. ط2 . 1952 م . ص 14 .

[3]- قُدامة ، بن جعفر . نقد الشعر. ص74.

الذي قيل فيه النص الشعري ، والقسم الداخلي المتمثل بحسن اختيار الألفاظ وترابطها ، وحسن تقسيمها وما تحدثه في نفس المتلقي من أثر .

وما يلاحظ على خطابات الرصافي البلنسي في الغربة والحنين هو مزاوجته بين عناصر الموسيقى: الخارجية والداخلية.

1- الموسيقى الخارجيـــــة :

تبدو الموسيقى الخارجية واضحة من خلال الوزن والقافية ، والوزن كما يراه ابن رشيق «من أعظم أركان حد الشعر ، وأولاهما به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية»[1].

ولتسهيل الدراسة ، سأتحدث عن كل جزئية منهما على انفراد ، مع إدراكي أن الجمال كلٌّ متكامل ، وأن موسيقى الشعر تأتي من تلك العناصر كلّها مجتمعة .

أ- البحـــــور الشعـــريـــة :

نظم العرب شعرهم على بحور شعرية عدّة صنَّفها الخليل بن أحمد ، وقد اختلفت في التركيز عليها من بحر إلى آخر ، وقد لُوحظ أن الشعر الذي نُظِم على البحر الطويل يقارب ثلث الشعر ،وأنَّ وزن الطويل هو الذي كان يؤثره القدماء على غيره من البحور ، ويتخذونه ميزانا لأشعارهم ، وأنّ البحر الكامل والبحر البسيط يمثلان المرتبة الثانية في نسبة الشيوع ، ويجيء بعدهما كلٌّ من الوافر والخفيف ، حيث كانت هذه البحور الخمسة موفورة الحظ ، يطرقها الشعراء ، ويكثرون من النظم فيها .

[1]- القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ص134 .

وإذا حاولنا أن نتبين موسيقى القصائد التي غلبت عليها ظاهرة الغُربة والحنين في ديوان" الرصافي البلنسي" وفق عملية إحصائية بسيطة ، وجدناه قد أجرى معظم قصائده ومقطعاته في هذا الغرض على أربعة بحور موزعة كالآتي :

البـــــحـــــر	التكـــــــرار
الطـــــويل	2
الكـــــــامل	2
البسيـــــــط	1
المتقـــــــارب	1

وكما هو مُلاحظ فقد استعمل الرصافي أربعة بحور في التعبير عن غربته وحنينه ، فمن خلال هذه الإحصائية تبين لنا أن الشاعر استخدم البحور ذات الأوزان الطويلة مثل : الطويل والكامل والبسيط ، وقد جاءت أوزان هذه البحور الأربعة بين انتمائها إلى البحور الصافية والتي تسمى أيضا البسيطة [1]، وبين البحور المركبة [2]، فبحر الكامل والمتقارب من البحور الصافية «التي تبنى على تفعيلة واحدة متكررة»[3] ، وهي :

- بحـــر الكامل : (**متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن**)
- بحر المتقارب : (**فعـــولن فعولـــــن فعولـــن فعـــــولن فعولن فعـــولـــن**)

وجاء بحر الطويل والبسيط ضمن البحور المركبة «التي تتكون من تكرار تفعيلتين»[4] ،أو تفعيلات مختلفة وهي كالتالي :

---

[1]- ينظر : السد، نور الدين . الشعرية العربية (دراسة في تطور القصيدة العربية حتى العصر العباسي) . ديوان المطبوعات الجامعية . بن عكنون . الجزائر . (د.ط). 1995 م .ص 92.

[2]- المصدر نفسه .ص ن .

[3]- المصدر نفسه .ص ن .

[4]- المصدر نفسه . ص ن.

- الطويـــــل : (**فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن**)

- البسيط : (**مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن**)

ويبدو أنّ بحر الطويل والكامل أتيَا في صدارة هذه البحور وحظي بمعظم قصائد الغربة والحنين الرصافية ،ولعلَّ الحديث عن النفس ، وذكرياتها ، وشوقها ، يحتاج إلى تفصيلات وشرح وتوضيح ، وهو ما يحتمله البحر الطويل، كذلك فإن الحديث عن الحنين إلى أماكن أو فترة أو ناس ، يحتاج إلى كثير من الوصف ، وهو ما يناسب البحر الطويل ، وحين يعبّر الإنسان عن آلامه ونفسه ، وعن حاله واحساساته ، فإنَّ ذلك يقع في مجال الخبر ، ويأتي لذلك البحر الكامل ، صاحب الصدارة أيضاً . ثم بعد ذلك يأتي بحر البسيط والمتقارب بقصيدة واحدة لكل واحد .

ب – القافيـــــة :

القافية في اللغة : آخر كل شيء ، ومنه قافية الشعر [1]. والقافية «شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية»[2] . وهي في الشعر آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يسبقه مع حركة الحرف الذي قبل الساكن ، أو آخر ساكن في البيت إلى أول ساكن يلقاه مع المتحرك الذي قبل الساكن [3]. وتركز القافية بشكل رئيس على حرف الروي، وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه ، فلا يكون الشعر مقفّى إلاّ إذا اشتمل على ذلك الصوت في أواخر الأبيات ، وإذا تكرَّر وحده و لم يشترك مع غيره من الأصوات ، عُدّت القافية حينئذٍ أصغر صورة ممكنة للقافية الشعرية [4].

---

[1]- ينظر : ابن منظور. لسان العرب . مادة (قفا) .ص 1862 .

[2]- القيرواني ،ابن رشيق . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ص 151 .

[3]- ينظر : التنوخي . القوافي .تحقيق عوني عبد الرؤوف . مكتبة الخانجي .القاهرة . مصر.ط2 . 1978 م . ص 37 ، وعتيق ، عبد العزيز. علم العروض والقافية. دار النهضة العربية . بيروت. لبنان .(د.ط). 1987م. ص134.

[4]- ينظر: أنيس، إبراهيم . موسيقى الشعر. ص 247 .

وترتكز القافية بشكل أساسي على حرف الروي الذي يعد جزءاً لا يتجزأ منها «وهذا الروي صوت تنسب إليه القصائد أحياناً»[1]. فتبعاً لحرف رويها يقال لها الهمزية أو البائيـــــــة أو الميمية .

وباستقراء قصائد الغُربة والحنين في ديوان "الرصافي البلنسي" تبين لنا أنها سيقت على أربعة أصوات موزعة كالآتي .

حروف القوافي أو حروف الروي	الرّاء	النّون	اللام	القاف
التكـــــرار	2	2	1	1

وبالنظر إلى الجدول المتقدم ، يلاحظ ما يأتي :

أولاً: عبّر الشاعر عن شوقه وحنينه إلى وطنه مستخدماً أربعة أصوات تكرّر صوتان منهما .

ثانياً: تكرَّر استخدام حرف الروي "الرّاء ، والنّون" ، وذلك لأنّ النطق لا يتعسّر فيهما ، وتستسيغهما الآذان [2].

ثالثاً: اعتمد الرصافي في التعبير عن حنينه على القوافي الجميلة التي تضفي جرساً موسيقياً مثل : "اللام ، والرّاء ، والنّون" وليست نافرة مثل :"القاف" ، التي تقع موسيقاها وقعاً سيئاً على الأذن ، وبالتالي لا يكون أثرها مستملحاً [3].

---

[1]- أنيس، إبراهيم . موسيقى الشعر. ص 247 .

[2]- ينظر : المرجع نفسه. ص 38 .

[3]- ينظر : الشايب، أحمد . أصول النقد الأدبي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة .مصر .ط10 . 1994 م . ص 325 – 326 .

كما نلاحظ أيضاً أنَّ القافية تنقسمُ إلى قسمين مطلقة ومقيدة ، والقافية المقيدة هي ما كانت ساكنة الرّوي [1]، كما في قصائد الرصافي :"الحقوقْ ، الطَلِيقْ ".أما المطلقة هي ما كانت متحركة الرّوي إما بالضمة ، أو الكسرة أو الفتحة[2]كما في كلمات الإخوَانِ ، ذكرَا ، حنينُ.

والمتتبع لشعر الحنين في الأندلس يجد أن أكثر نتاج الشعراء في ذلك جاء على القافية المطلقة، وذلك أمر طبيعي ، لأن إطلاق الصّوت في القافية يعين على إثراء الموسيقى ـــ ويساعد على إظهار ما يختلج في نفس الشاعر من ولعٍ وحنين[3].

أمَّا القافية المقيَّدة، فكان استخدامها قليل بالمقارنة مع القافية المطلقة .

2- الموسيـــقى الداخليـــة :

إنَّ التلاؤم بين أجزاء القصيدة ، ينتج قوى موسيقية خِصبة تَبرزُ من خلالها جماليات القصيدة الخاصة التي تميزها عن قصيدة أخرى ، وهذه الموسيقى تتصل بجرس الألفاظ وخواصها الصوتية ، وأنماطها البديعية ، وكذلك لها صلة بطريقة تأليف الكلام [4].

فإلى جانب الموسيقى الخارجية التي تعتمد على الإيقاع العروضي المتمثل في الوزن والقافية ، هناك ما يسمى بالموسيقى الداخلية التي تتجاوز الإطار العام أو الخارجي الذي لا يمكن أو يُعَوَّلْ عليه الحكم على موسيقى القصائد ، إلى الإطار الخاص أو الداخلي الذي يرتبط بنفسية الشاعر ويلتمس في تلك القيم الصوتية الباطنية الناتجة من تآلف الحروف والكلمات وانسجامها داخل النسيج الشعري من خلال عناصر هامة كالتكرار والتلوين الإيقاعي والبديع اللفظي والمعنوي «الذي تحسه ولا تراه تدركه ولا تستطيع

---

[1]- ينظر :عتيق، عبد العزيز. علم العروض والقافية. ص 164 .

[2]- ينظر : المرجع نفسه . ص 165 .

[3]- دقالي، محمد أحمد . الحنين في الشعر الأندلسي. ص 532 .

[4]- ينظر : أنيس ، إبراهيم . موسيقى الشعر . ص 45 .

أن تقبض عليه ويكمن في تعادل النغم عن طريق مدّات الحروف حينا وعن طريق تكرارها حيناً وعن طريق استعمال حروف مهموسة أو مجهورة تتساوى مع الإطار الموسيقي العام للقصيدة »[1].

ولقد اعتنى النقاد القدامى بهذا النوع من الموسيقى ، يقول حازم القرطاجني :

« وبقوة تهدي إلى العبارات الحسنة يجتمع في العبارات أن تكون مستعذبة جزلة ذات طلاوة ، فالاستعذاب فيها يحسن المواد والصيغ والائتلاف » [2] .

ومن هنا كانت عناية الرصافي البلنسي ببعض فنون البديع ، والتفنُّنْ في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم وموسيقى ، وحتى يسترعي الآذان بألفاظه كما يسترعي القلوب .

وعلى الرغم من صعوبة تحديد هذا النوع من الإيقاع الباطن فإننا سنتوقف عند بعض العناصر الأساسية التي تشكل الإيقاع الباطن للتعرف من خلالها على مدى نجاح "الرصافي البلنسي" في تكييف موسيقى قصائده لتصبح ملائمة لموضوعه الشاجي المتمثل في غرض الغربة والحنين .

1 – التصريـــــع :

التصريع هو «ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته»[3] ، والتصريع بالإضافة إلى ذلك «مظهر من مظاهر الإيقاع على مستوى الأصوات وينبع إيقاعه من أصله فهو حرف وللحروف إيقاعها والتصريع أيضا خرق للرتوب والثبات ولقوانين المنع ولئن كانت القافية تشكل تماثلا إيقاعيا على مستوى

---

[1]– عيد، رجاء . التجديد الموسيقي في الشعر العربي دراسة تأصيلية تطبيقية بين القديم والجديد لموسيقى الشعر العربي .منشآت المعارف. الإسكندرية . مصر. (د.ط) .(د.ت). ص 14 .

[2]– القرطاجني، حازم . منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص 255 .

[3]– القيرواني ، ابن رشيق . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ص 173 .

عمودي فإن التصريع يشكل المستوى الأفقي ضمن كل بيت ولهذا التشابه الأفقي أثر إيقاعي كبير بخلقه تناغماً داخلياً يساهم في تعضيد الإيقاع الكلي للنص الشعري»[1] .

ولم نجد اهماماً عند الرصافي البلنسي بتوظيف ظاهرة التصريع سوى في بيتين من مطالع قصائده ، وذلك لإثراء المعجم الإيقاعي وما يتركه من أثر سمعي يشد انتباه المتلقي ، ويؤثر في نفسه خاصة إذا كان الحرف المصرَّع من الحروف ذات الإيقاع الحزين ، حيث يقول[2] :

ولا كالرُّصَـــافَةِ مِـــنْ مَنْزِلٍ سقتهُ السحـــائبُ صوبَ الوَلي

و في مطلع قصيدة أخرى قوله [3]:

خليليَّ ما للبيدِ قد عَبَقَتْ نَشْرا وما لرؤُوسِ الرَّكبِ قد رُنِّحتْ سُكراَ

وهكذا يزيد التصريع في مطلع القصيدة من الجرس الموسيقي الذي تلذّ به الأسماع

2 – التكـــــرار :

من الموسيقى الإيقاعية الداخلية أيضاً موسيقى التكرار ، والتكرار من الوسائل التي تُسهم في خلق العلاقات المتعددة داخل البيت عن طريق تميزه بالتوازن ، والأخبار تبعا للسياق ، فيتحقق الإفهام ، والتأثير [4].

---

[1]- الحسين، أحمد جاسم . الشعرية قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي . الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية . دمشق . سورية .ط1 . 2000 م . ص 128 .

[2]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 118 .

[3]- المصدر نفسه . ص 76 .

[4]- ينظر :عبد المطلب، محمد . البلاغة الأسلوبية . مكتبة لبنان ناشرون . بيروت . لبنان . ط1 . 1994 م . ص 219 .

ويكون التكرار بالحروف والألفاظ والعبارات ، وهذه جميعها تُعطي نوعاً من الموسيقى الداخلية من خلال التكرار .

ويعدُّ التكرار خاصية ظاهرة في شعر الحنين فهو يدلُّ على تأكيد تجربة الحنين ، ويعبِّر عمَّا يُعانيه الشاعر من ضيق وتمزُّق [1].

ويسعى "الرصافي البلنسي" في قصائده في الغربة والحنين إلى توفير قدر كبير من الرنين والنغمية عن طريق تكرار الحروف والكلمات ، ومن الأمثلة على تكرار الحروف، حرف اللام الذي بنى عليه قافية قصيدته ، فقد تكرّر الحرف في الأبيات الآتية إحدى عشر مرة ، وهذا أكسبَ النص الشعري جَرساً موسيقياً فأثار الانتباه عند المتلقي[2]:

ولا كالرُّصَـــافَةِ مِـــنْ مَنْزِلٍ سقتهُ السحـــائبُ صوبَ الوَلي

أحنُّ إِليهَا وَمَـــنْ لي بهـــا وأَيـــن السَّـــريُّ مـــن المَوْصِلِ

ومنه قوله أيضاً [3]:

سقى العهد من نَجدٍ معاهدَه بما يغارُ عليها الدمعُ أنْ تَشْرَبَ القَطْرَا

يلاحظ أنه كرَّر حرف العين أربع مرات ، وهذا أعطى جرساً موسيقياً قوياً ثرياً ، مَكَّنَ الشاعر من التعبير عن حنينه الشديد إلى وطنه . وهذا التكرار يرتبط لا شـــعورياً بالحالة النفسية للشاعر ، خاصة إذا علمنا أن حرف العين من الحروف التي تعبِّر عـــن المرارة والفَقد «فتكرار الشاعر لحرف بعينه ـــ قد يكون له مغزى نفسي عميق فقـــد يرجع هذا إلى صورة الحرف أو شكله أو إلى صورته وما يوحي هذا الصوت في نفس

---

[1]- ينظر : دقالي، محمد أحمد . الحنين في الشعر الأندلسي. ص 549 .

[2]- الرصافي ، البلنسي . الديوان . ص 118 .

[3]- المصدر نفسه. ص 73 .

الشاعر من إيحاءات نفسية معينة تعكس شعوراً يسيطر عليه ، وهو بصـــدد ممارســـته لتجربته الفنية ...» [1].

ومن موسيقى التكرار في شعر الحنين تكرار الكلمة أكثر مـــن مـــرة في الـــنص الشعري ، وتشكل الكلمة الركن الثاني بعد الحرف في بناء النص الشعري ، ولذلك فإنَّ الشاعر يقوم أحياناً بتكرار كلمة ليخدم النظام الداخلي للنص عن طريق تكثيف الدلالة الإيحائية له[2]. كما أنَّها تشتمل على قيمة إيقاعية فترداد لفظة معينة ينتج جرساً موسيقياً له أثر على المتلقي ، ومن ذلك قول الرصافي [3]:

طوَيتُ الليالي طيَّهن وإنما طَوَينَ {به} عني التجلُّدَ والصَّبرَا

في هذا البيت نلاحظ تكرار كلمة طوى ثلاث مرات مع تغيير الشكل ، ويكشف التكرار عن حالة الشاعر النفسية التي غرقت في الشوق والحنين إلى الـــوطن، ويضـــفي إيقاعاً موسيقياً ينسجم والدلالة .

ومنه أيضاً قوله [4]:

وما دعوتي للمُزْن عُذراً لدعوتي إذا ما جَعَلتُ البُعد عن قُربه عُذرا

يلاحظُ في الأبيات المتقدمة تكرار كلمة دعوتي محافظاً على شكلها ، حيـــث أراد من التكرار توكيد المعنى ويصبو إلى تحقيق جرس موسيقي عذب .

---

[1]- موافي ، عثمان . في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم .دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية . مصر.(د.ط) 2002 م . ج2 . ص 55 .

[2]- ينظر : عياش، منذر . الأسلوبية وتحليل الخطاب . مركز الإنماء الحضاري . حلب . سوريا . ط1. 2002م . ص 80 .

[3]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 73 .

[4]- المصدر نفسه. ص 73 .

ويقول أيضاً [1]:

أمترلَنا عصر الشبيبة ما الذي طوى دوننا تلك الشبيبة والعصرا

حيث قام بتكرار كل من كلمتي "عصر" ، "والشبيبة" ، وذلك لتوكيد المعنى وتثبيته في ذهن السامع ، ولا ننسى الجرس الموسيقى العذب الذي خلفه التكرار

ومن أمثلة تكراره لبعض الكلمات أيضاً قوله [2]:

وقالـــوا هل الفردوس ما قد علمته فقلتُ وما الفردوس في الجنة الأخـــرى

فلقد كرَّر الرصافي كلمة "الفردوس" لتأكيد المعنى ، مما أضفى على البيت ذلك النغم الجميل .

وهكذا ، قد أدَّت كل من الموسيقى الخارجية والداخلية لشعر الحنين وظيفتها التي تناسبها ، واستطاعت أن تبرز جمال النص الشعري ، بما أحدثته من تناسق وانسجام بين عناصره الموسيقية الخارجية والداخلية ، فأثارت الانتباه في نفس المتلقي .

3 – التـــوازن :

والتوازن تساوٍ في الوزن ، ولا يشترط في القافية ، فالوزن هو موسيقى ، وبما أن التـــوازن فيه ، إذن فهو مدعاة لجذب الرنين الموسيقي ، يقول الرصافي [3]:

خَليليَّ ما للبيدِ قد عَبَقَتْ نَشْـــــرا وما لرؤُوسِ الرَّكبِ قد رُنِّحتْ سُكرَا

هَل المسكُ مَفْتوقًا بِمدْرَجَةِ الصِّبا أَمِ القومُ أَجْرَوْا مِـــــنْ بَلَنْسيةٍ ذكرَا

فالتوازن بهذا التقطيع ، وبهذه الحروف المتوازنة ، عدداً ووزناً ، هو الموسيقى في حد ذاتها .

---

[1]– الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 68 .

[2]– المصدر نفسه. ص 69 .

[3]– المصدر نفسه. ص 67 .

4- الطباق والمقابلـــة :

الطباق مصطلح بلاغي ينتسب إلى البديع . وقد صنف ضمن المحسنات المعنوية التي تهـــتم بناحية المعنى ومن ثم لم ينظر في أهميته الموسيقية وقيمته الصوتية والإيقاعية الحاصلة من تضـــاد الألفاظ وتقابلها ، فالطباق « يعني المطابقة بين كلمة وأخرى مضادة لها في المعنى وبذلك تتولد ضدّية وفجوة نفسية بين هذين المتضادين ، ومن التسمية نلحظ شيئا من المعنى الموسيقي إذ عبّر عن التضاد بالتطابق»[1]، وهذا التضاد الحاصل بين المعنيين يخلق جرســـاً موســـيقيا متنوعـــاً ، فالطباق بالإضافة إلى كونه من المحسنات البديعية التي تساهم في إبراز المعنى وترسيخه ، يعـــدُّ أيضاً من المحسنات الصوتية في إيقاع الشعر ، له علاقة وطيدة بإحساس الشاعر وحالته النفسية التي تدفعه إلى استخدام مثل هذه المطابقات أو الثنائيات الضدية كما يسميها النقد الحديث .

ونجد أنَّ الرصافي قد اعتمد على مثل هذه الثنائيات الضدّية اعتمادا كـــبيراً في تشـــكيل موسيقى قصائده مثلما اعتمد عليها في تشكيل اللغة وتشكيل الصورة حتّ غدت ظاهرة دلالية مُلفتة للنظر في قصائد الغربة والحنين . سنقدم هنا بعض النماذج منها لنركـــز علـــى أهميتـــها الموسيقية ،

فمن ذلك يقول [2]:

يا راكبـــاً واللّـــوَى شـــمالٌ عن قَصْدِهِ والغَضَـــا يـــمينُ

ويقول أيضا [3]:

وما دعوتي للمُزن عذراً لدعوتي إذا ما جَعَلْتُ البُعد عن قربه عُذرا

---

[1]- الحسين، أحمد جاسم . الشعرية قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي. ص 133.

[2] - الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 131 .

[3]- المصدر نفسه . ص 73 .

فمن هذه الاختلافات الحاصلة بين "شمال" و "يمين" في البيت الأول و "البعد" و " القرب" في البيت الثاني ، يتولد إيقاع نفسي أخّاد يمتد إلى المعاني ولا يكتفي بالألفاظ . إنه موســـيقى نفسية تزيد من ثراء الإيقاع العام القصيدة ومن هنا فالطباق «ذو أثر عظيم لأنه غير تقليدي ولا يقوم على المشاكلة ، بل على الاختلاف ،وللاختلاف أساس هام لأي نص أدبي يدّعي لنفســـه شيئا من الشاعرية»[1].

ومن الثنائيات الضدّية أيضا ، يقول [2]:

ثكلتهم ثُكْلاً دَهَى العينَ والحشَا ففَجَّر ذا ماءً وسَجَّرَ ذا جمرَا

ويقول أيضا [3]:

لبسنا بها ثوبَ الشباب لباسَها ولكنْ عَرِينَا من حُلاَهُ و لم تعرى

فالتضاد بين "الماء" و "الجمر" في البيت الأول ، و "لبسنا" و "عرينا" في البيت الثـــاني ، يولّد إيقاعا نفسيا يؤول إلى الاختلاف في المعنى بينهما ، وإيقاعاً موسيقياً متولدا من اتفاقهما في الأصوات العربية.

والأمثلة على إيقاع الطباق كثيرة في قصائد الغربة والحنين عندي الرصافي البلنسي، وكلّها تشير إلى نفسيته القلقة المتوترة، وتُساهم في الوقت نفسه مساهمة فعالة في التشكيل الموســـيقي لقصائده و الذي نراه تحول مرة واحدة إلى مقابلة ، ممَّا زاد في ثراءه .

حيث يقول [4]:

وإني متى أسألْ بهم كلَّ راكبٍ ليُظهـــرَ لي خيـــراُ تأبَّطَ لي شرَّا

---

[1] - الحسين، أحمد جاسم . الشعرية قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي. ص 134 .

[2]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 72 .

[3]- المصدر نفسه . ص 68 .

[4]- المصدر نفسه. ص 72 .

فاجتماع المتضادات في الشطر الثاني من البيت في "يظهر"و "تأبط" و"خيرا" و "شرا" نتج عنه إيقاع ثري فهذه المتناقضات ذات قيمة موسيقية كبيرة وقيمتها الموسيقية لا تتولـد منـها منفصلة ، وإنّما تتاليها هو الذي يكسبها هذا الإيقاع الناشئ من تضادها الذي يلفـت انتبـاه المتلقي ويؤثر فيه

5 – الجنـــاس :

يعتبر الجناس أو التجانس واحداً من المحسنات اللفظية الوثيقة الصلة بموسيقى الألفاظ ، إذ يضطلع بدور بارز في إثراء الإيقاع وتنويعه . والجناس إمَّا أن يكون تاماً أو ناقصـاً وتنـهض موسيقاه على أساس التشابه بين لفظتين في الإيقاع مع اختلافهما في المـدلول ، فهـو أشـبه بالتكرار إمَّا أن تتكرر حروفه كلّها فيُعد تاماً ، وإمَّا تتكرر بعضها وينقص بعضها فيعد ناقصاً ، وهو «يقوم على عنصري المشابهة والتضاد وقد جمع بذلك بين المشاكلة والاختلاف وهذا ما لم يتهيأ لغيره ، وبجمعه لهذه المتضادات يكون قد حصل طاقة إبداعية ثرية لما يجمع فيه قوى التأثير المختلفة عبر الوزن والجرس، وتشابه الحروف ، ورسم الكلمات وأيضا إيهامه للعقل بتشـابه الحروف والمخالفة التي تتبع هذه التشابهات»[1] .

ومن المحسنات التي استخدمها الرصافي في تشكيل موسيقى قصائده ، قوله [2]:

ذاتَ الجنـــاح تَقَلّـــبي بجوانح القلب الخَفُـوقْ

وقوله أيضا [3]:

طويـــل نجـــادِ السيف لان كأنما تخطّى بـــه في ابـــــرد خطّيّةً سمرا

---

[1]- الحسين، أحمد جاسم . الشعرية قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي. ص 136 .

[2]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 109 .

[3]- المصدر نفسه . ص 72.

ويقول أيضا [1]:

هل السعد إلا حيث خُطَّ صعيدُهُ فما بَلَّ في شَفْرَيْ ضريحٍ له شَفْرا

ففي هذه الأمثلة جَانَسَ الشاعر بين "الجناح"و "جوانح" أيضا بين "تخطَّى" و " خطِّيّةً " و بين "شفري" و "شفرا" جناسا أثرى به موسيقى الأبيات وأعلى به النغم الشعري من خـــلال التماثل الإيقاعي بين الألفاظ المشكلة للتجانس . ومن أمثلة التجانس الوارد أيضـــا في شـــعر الغربة والحنين عند الرصافي البلنسي قوله [2]:

لبسنا بها ثوبَ الشباب لباسَها ولكنْ عَرينَا من حُلاَهُ و لم تعرى

وقوله أيضا [3]:

أناسُ إذا لاقيتَ من شِيتَ منهمُ تَلقُّوكَ لا غثَّ الحديثِ ولا غَمْرا

وقوله أيضا [4]:

وَتَســـاقَطِي بالسَرْحَتَيْـــ نِ تَسَـــاقُطَ الدَّمْـــعِ الطَّليقْ

فمن خلال مجانسة الشاعر بين "لبسنا" و "لباسها" وبين "عرينا" و "تعرى" أضفى علـــى البيت إيقاعا وموسيقى جعل من البيت يسير على نغم ورنين واحد ، يلفت ويجدب الأسماع .

وهكذا كما نرى قد وفق "الرصافي البلنسي" في توظيف العنصر الموســـيقي ، فأســـهمت الموسيقى إسهاماً واضحاً في إبراز إحساس الشاعر بالغربة هذا الأخير الذي ظهر أثره جليـــا في

[1]- الرصافي ، البلنسي. الديوان ص 73 .
[2]- المصدر نفسه. ص 68 .
[3]- المصدر نفسه . ص 71 .
[4]- المصدر نفسه. ص 64 .

التشكيل الكلي للقصائد ، و الذي استطاع الشاعر أو يؤلف فيه بـــين الموســـيقى الخارجيـــة والموسيقى الداخلية ليُسهما معاً في التعبير عن غربته التي استدعت حنينه إلى وطنه .

ثالثاً: اللغـــة والأسلـــوب :

ليس المقصود باللغة الكلمات ومدلولاتها ، وإن كانت هذه جزءا رئيسا من اللغة ، إنَّمـــا المقصود اختيار الكلمات والعبارات والجمل لتكسو المعنى أو الفكرة ، وتعد اللغة أداة هامة في التشكيل الجمالي للنص الإبداعي ، وهي وسيلة الشاعر في التعبير ، ومادته الخام في خلق إبداع أدبي متميز يستجيب للواقع النفسي ويحقق التفرد للنص الشعري .

ولا شكّ في أنَّ الشاعر يختار ألفاضه التي يتوقع أن تقوم بعبء الفكرة ، وتؤثر في السامع ، مقترنة مع غيرها من العناصر ، فقد اختيرت الألفاظ السهلة المتسمة بالوضوح بعيدة عن التعقيد والحشو ، تتناسق وتتمازج فيما بينها لتكوين هذا النص وهو في هذا يخرج هذه الألفاظ مـــن معانيها المعجمية ليعطيها وظيفة جمالية وبذلك يتراح بها عن اللغة العادية إلى اللغة الأدبية الـــتي تحمل شحناته العاطفية وتوجهاته الفكرية وتجسد أحاسيسه ومشاعره الذاتية فتصـــطبغ بحســـه وشعوره . وجاءت الألفاظ في صورتين :

1- ألفاظ الشوق والحنين المباشرة :

وظَّف الرصافي البلنسي في قصائده ألفاظ مباشرة دالة على الشوق والحنين ، فقد وردت اللفظة صريحة في نتاجه الشعري الذي قاله في الحـــنين إلى الـــوطن ، والأهـــل والأصـــدقاء والذكريات الماضية ، ومن ذلك قوله [1]:

أَحِنُّ إِليها وَمَنْ لي بـــها وأَيـــن السَّـــرِيُّ مـــن المَوْصِلِ

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 118 .

وقوله أيضا[1]:

يا أيكُ لا يدَّعي حـــمامٌ ما يجدُ الشيِّـــــقُ الحزينُ

ويقول أيضا [2]:

وقلْ على أيـــكةٍ بوادٍ للورقِ في قُضْبها حنيـــــنُ

فقد وظّف الرصافي لفظة "أحن"و "حنين" في العديد من المواطن لا يسعني ذكرها جميعاً ، ومن الألفاظ الدالة أيضا على الحنين دلالة مباشرة لفظة "الشوق" فقد تردد في العديـــد مـــن المواطن في قصائد الغربة والحنين ، حيثُ عبَّر الشاعر عمَّا يكنه من شوقٍ وحنين تجاه ما يحب .

2- الألفاظ الدالة على الحنين :

يتردد على ألسنة شعراء الأندلس عدد من الألفاظ الدالة على الحنين والشـــوق، منـــها " الوجد والصبابة ، والشجن والفراق ،والتلهف والدموع " وغيرها من الألفاظ التي تخدم قصائد الحنين عند الشاعر الأندلسي ، وتعبّر عن مشاعره وأحاسيسه ، من ذلك قول الرصافي البلنسي حاناً إلى وطنه ، يقول [3]:

سقَى العهدَ من نجدٍ معاهدَه بما يغارُ عليها الدمعُ أَنْ تَشْرَبَ القَطْرا

ويقول أيضاً [4]:

فلا حُرِمت سقياه أدمُع مُزْنَةٍ ترى مَبْسمَ النّوار أصفَر مُغْبّرا

فقد وظف الشاعر هنا لفظة "الدمع" الدالة على الشوق الملتهب للوطن الغائب .

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 73 .

[2]- المصدر نفسه. ص ن .

[3]- المصدر نفسه. ص ن .

[4]- المصدر نفسه . ص ن .

تؤكد ألفاظ الحنين والشوق السابقة ، سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة صدق تجربة الحنين عند الرصافي البلنسي ، فقد وظف الشاعر أكثر من لفظة لتُعبر عن حنينه المستمر إلى الوطن والأهل والأصدقاء والذكريات الماضية ، فهذه كلها مفقدات عزيزة عليه ، ويحبها ويتشوق إليها .

والأمر سيطول بنا إن نحن تتبعنا كل ألفاظ قصائد الغربة والحنين ذلك لأنها كثيرة والمقام لا يتسع هنا لذكرها جميعها ، وما يمكن قوله ها هنا : إنّ "الرصافي البلنسي" قد وظَّف كل ألفاظه في خدمة تجربته هذه واستطاع أن ينطقها بكل مشاعره وإحساساته فكانت دلالاتها النفسية تزيد من قيمتها الفنية .

وفي سياق حديثنا عن المعجم الشعري تجدر الإشارة إلى الحضور المكثف لألفاظ الطبيعة في شعر "الرصافي البلنسي" وامتزاجها بشتى الأغراض ومنها غرض الغربة والحنين ، الأمر الذي جعل لغته تتّسم بالرقّة والعذوبة ، فهو يعبّر بالطبيعة ويتوسل بألفاظها التي لازمت أسلوبه دائما حتى لا تكادُ قصيدة من قصائده تخلو من مفردات الطبيعة نحو : "الحمام" ، "الروض" ،"الرياح"، "الماء" ،"النهر" ،"الشمس" ،"البحيرة" ،"البدر"، "النبات" ،"الأزهار" ..وغيرها كثير .

ومن السمات الأسلوبية التي وظّفها "الرصافي البلنسي" في شعر الحنين **التضمين** ، الذي لجأ إليه لتوضيح حاله ، بموازنتها بأحوال الآخرين في مثل هذا المقام. من ذلك قول الرصافي [1]:

خليليَّ ما للبيدِ قد عبقتْ نشْرا وما لِرُءُوسِ الرَّكْبِ قد رُنِّحَتْ سُكْرا

فللكلمة المضمنة هي "خليلي" ، فقد وظفها العديد في الشعراء فيما سبق في أشعارهم ، حتى أضحت شائعة بين جميع الشعراء .

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان .ص 67 .

وقوله أيضا [1]:

طويل نجادِ السيف لان كأنما تخطّى به في البرد خَطِّيّةً سمرا

فالبيت المضمّن "طويل نجاد السيف"، فقد وظّفه قبله أبو فراس الحمداني . وقبله الخنساء في رثاء أخيها صخر ، حين قالت "طويل النجاد" .

وقد وظّف الشاعر أيضا كلمة "قِفَا" التي اشتهر بها امرؤ القيس في مطلع قصيدته ، حيث يقول الرصافي [2]:

قِفا غيرَ مأمورينِ ولتصديَا بها على ثقةٍ للغيثِ فاستقيا القطْرا

كما لا يفوتنا أيضا أنّ "الرصافي البلنسي" قد استخدم لفظة "الزبرجد" التي تُعتـــبر لفظـــة مُعرّبة من الفارسية ،بالإضافة إلى لفظة "المسك" ، نظرا للامتزاج الحضاري بين العرب وغيرهم . يقول [3]:

بَلَنْسِيَةٌ تلكَ الزَّبْرَجدَةُ التي تسيلُ عليها كلُّ لؤلؤةٍ نَهْرا

يقول أيضا [4]:

هل المسكُ مَفْتوقاً بِمَدْرَجَةِ الصَّبا أمِ القومُ أجروْا منْ بلنسيةٍ ذكرا

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 72 .

[2]- المصدر نفسه. ص 67 .

[3]- المصدر نفسه. ص 80 .

[4]- المصدر نفسه . ص 67 .

الأساليب الإنشائية :

وظّف الرصافي البلنسي الأساليب الإنشائية في قصائده ومقطّعاته الشعرية الـــتي قيلـــت في الحنين ، فقد أكثر من النداء والاستفهام والأمر، وهذه الأساليب تتّفق وحالة الشاعر ، فمـــرّة يخاطب الوطن والأصحاب والأصدقاء والزمن الماضي ، وهذا يناسب أسلوب النداء ، ومـــرّة يتساءل عن حاله ، وعمّا يختلج في صدره من شوق وحنين إلى تلك المفتقدات ، وهذا يناسب أسلوب الاستفهام.

أ. أسلوب النداء .

أكثر ما كان النداء في الاستغاثة للمُدن المنكوبة ، أو الحنين إلى الديار ومـــا فيهـــا ، أو الحنين إلى الطبيعة الغنّاء ، فكان الشعراء ينادون الديار بأسمائها كتعبير عن حسرتهم ، وبعدهم عنها ، ويخاطبون ويتشوقون إلى الطبيعة التي أَلِفُوها ، من ذلك قول "الرصافي البلنسي" [1].

يا راكبـــــاً واللّوَى شمالٌ عن قَصْدِهِ والغَضَا يمينُ

ويقول أيضا [2]:

يا أيكُ لا يدَّعي حـــمامٌ ما يجدُ الشيِّـــــقُ الحزينُ

حيثُ يظهر أسلوب النداء مصحوباً بالتحسر والأسى تجاه الوطن ،حين ينادي الشـــاعر الركبَ والحمام المتجهين إلى البلد ليُبَلغَ سلامه إلى أرض الوطن .

ويكرّر الرصافي البلنسي أسلوب النداء في شعر الحنين ، ليدل على صدق تجربته الشـــعرية تجاه ما يحن إليه ، فيخاطب أصحابه ، مظهراً ما يكنّه من شوق وحنين إليهم ،

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 73 .

[2]- المصدر نفسه .ص ن .

في قوله [1]:

يا صاحبيَّ على النَّوَى ولأنتُما أَخوَا هَوَايَ وَحَبَّذَا الأَخَـــوَانِ

وله أيضاً منادياً صحبه [2]:

خليليَّ عُوْجـــا بي عليهـــا فانَّهُ حديثٌ كَبَـــرْدِ الماءِ في الكبدِ الحَرَّى

ب. أسلوب الاستفهام :

وظّف "الرصافي البلنسي" أسلوب الاستفهام للتعبير عن حاضره المرير واصطدامه بالواقع، من ذلك قوله [3]:

خليليَّ ما للبيدِ قد عبقتْ نشْرا وما لِرُءُوسِ الرَّكْبِ قد رُنِّحَتْ سُكْرا

وفي مثل قوله أيضا [4]:

أمتزلَنَا عصر الشبيبة ما الذي طوى دوننا تلك الشبيبة والعصرا

وله أيضا [5]:

هل السعد إلا حيث خُطَّ صعيدُهُ فما بَلَّ في شَفْرَيْ ضريحٍ له شَفْرا

وكلّها استفهامات خرجت عن معانيها الحقيقية لتدلّ على الحيرة والتعجُّب وتكشف عن أرق ذات الشاعرة ومعاناتها نتيجة ضياع الوطن ، وفقد الأهل والخلان والأحبة .

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 131 .

[2]- المصدر نفسه .ص 67 .

[3]- المصدر نفسه. ص ن .

[4]- المصدر نفسه . ص 68 .

[5]- المصدر نفسه . ص 73 .

ج. **أسلوب الأمر:**

نجد أنّ الرصافي أيضا قد وظّف أسلوب الأمر في ثلاثة مواطن من قصائد الحنين ،آمراً أصحابه وخلانه بتوصيل سلامه وجوانحه إلى الوطن المحبوب ، يقول [1]:

خُوْضَا إِلى الوطَنِ البعيدِ جوانحي إِنَّ القلوبَ مَوَاطِنٌ الأوْطَان

وله أيضا [2]:

قِفا غيرَ مأمورينِ ولتصديَا بها على ثقةٍ للغيثِ فاستقيا القطْرا

يقول أيضا [3]:

وقلْ على أيــكةٍ بوادٍ للورقِ في قُضْبها حنيـــــنُ

وتجتمع صيغ الاستفهام والنداء والأمر لتعبر عن الطابع الانفعالي الذي يسود خطابات الرصافي البلنسي ، وتدل على حسرة الشاعر ومخاوفه وأحزانه وآماله المحكوم عليها باليأس .

وخلاصة القول في لغة وأسلوب الشاعر : أنَّهَا أسهمت بشكل بارز في البناء الشعري لموضوع الغربة والحنين عنده ، كما حملت صياغتها رؤية الشاعر وعبّرت بصدق عن أحاسيسه .

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 131 .

[2]- المصدر نفسه .ص 68 .

[3]- المصدر نفسه. ص 73 .

رابعاً: الصورة الشعـــرية :

الصورة الأدبية جزء لا يتجزأ من العمل الأدبي ، ولا تنفصل عن سياق القصيدة العام ، فالقصيدة أصلا هي صورة شعرية بأحاسيسها ، وتجاربها ، وتآلف ألفاظها ومعانيها ، ويصبح لها وظيفه مباشرة مع الفن لأنها «أكبر عون على تقدير الوحدة الشعرية ، أو الكشف عن المعاني العميقة التي ترمز إليها القصيدة »[1]، وهذا بدوره يؤدي إلى فهم الفن والتلذذ به .

ومفهوم الصورة الشعرية ليس بالمفهوم الجديد ، فقد عرّف النقاد القدامى الصورة الشعرية بقولهم : «الوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات» [2]. فقد تعرض النقاد لمصطلح "التصوير" الذي ورد في عبارة "الجاحظ" الشهيرة التي قالها في معرض حديثه عن الشهر «فإنما الشعر صناعة ، وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير»[3] . ثم جاء بعده نقاد آخرون تناولوا هذا المصطلح وأهمهم "عبد القاهر الجرجاني" الذي تعرض لمصطلح التصوير مستندا في ذلك إلى مقولة الجاحظ .وجمع حازم القرطاجني بين الصورة المباشرة وغير المباشرة بقوله: «واعتماد الصناعة الشعرية على تخييل الاشياء التي يعبر عنها بالأقاويل ، وبإقامة صورها في الذهن بحسن المحاكاة»[4] .

ويقول أيضا: «المحاكاة التامة في الوصف هي استقصاء الأجزاء التي بموالاتها يكمل تخييل الشيء الموصوف» [5].

وقد رأى النقاد أنّ الصورة يمكن أن تلقي من الضوء على الشعر مالا تلقيه دراسة أي جانب من جوانب الدراسة الأدبية بعامة ، والشعر بخاصة ، كما أنّ هذا الاختيار دليل على حذق الشاعر ، وإحساسه وفنيته .

---

[1]- عباس، إحسان . فن الشعر .دار الثقافة . بيروت . لبنان .(د.ط) . (د.ت) . ص 230 .

[2]- قدامة ، بن جعفر . نقد الشعر. ص30 .

[3]- الجاحظ، أبو عثمان . الحيوان . تحقيق وشرح عبد السلام هارون. دار الجيل . بيروت . لبنان .(د.ط). 1992م . ج3 .ص 132 .

[4]- القرطاجني ، حازم . منهاج البلغاء وسراج الأدباء .ص 62.

[5]- المصدر نفسه . ص 105 .

والصورة تساعد على إبراز المعنى ، وتقريبه للأذهان ، كما أنَّها ذات تأثير واضح في المتلقي ، لأنَّها تشكل أوتار الاهتزاز الشعري الذي يؤدي بالتالي إلى اهتزاز عاطفي عند السامع أو القارئ ، ومن هنا يحدث التجاوب مع الأدب .

ومن هذه الجولة يمكن أن نصل إلى أنّ الصورة ، هي ما يرسمه الفنان بريشته شعراً أو نثراً لإثارة العاطفة ، والتأثير في الناس بصورة أفضل من الكلام المباشر .

وفي مجال الحديث عن الصورة ، فإنَّها قد تكون **بيانية** تقوم على التشبيه ، والاستعارة والمجاز والكناية. وقد فطن إليها الشعراء من قديم ، فاصطنعوها في شعرهم ، فأبرزوا العلاقة بين الشيء وشبيهه ، باستخدام التشبيه ، وأبرزوا صفة ما حين استعاروا صفة من الشبيه على سبيل الاستعارة، وأخفوا المباشر ، وعبروا عنه بما يفيد معناه باستخدام الكناية .

كما أنّ الصورة يمكن أن تكون **حسية** ، تقوم على علاقات أعمق ، وتحتاج إلى إعمال فكر في تفسيرها ، أو تتطلب وقتاً في تحليل عناصرها ومكوناتها ، وهي في النهاية أرقى من الصورة التي تقوم على العلاقة الجزئية ، ويدركها الطبع السليم ، والدوق الرفيع [1].

1-الصور البيانيـــــة:

وهي « الصورة غير المباشرة التي يعتمد فيها الشاعر على التصوير البياني كالتشبيه والاستعارة والكناية »[2] . والصورة البيانية كثيرة في شعر قصائد الغربة والحنين عند الرصافي البلنسي ، ولا يمكن حصرها ، وأوّلُ نمط تصويري بلاغي يظهر في خطابات الرصافي البلنسي الحنينية هو **التشبيه** ، فقد تفنَّنَ الشاعر في صوره التشبيهية وضمنها أفكاره الحسية ومشاعره، فالصورة التشبيهية تهدف إلى التوضيح وإحداث اللذة أو المتعة الفنية وهي تقوم بوظيفة فنية غاية في الأهمية ، حيث إنَّها تعتمد إثارة مخيلة المتلقي بما تصدمها به من مرئيات ساكنة

[1]- ينظر : النواحي. عقود اللآل في الموشحات والأزجال . تحقيق أحمد محمد عطا. مكتبة الآداب. القاهرة . مصر. ط 1. 1999م . ص 75.

[2]- ينظر: عبد الله ، محمد حسن . الصورة والبناء الشعري .دار المعارف . القاهرة . مصر . (د.ط) . (د.ت) . ص145 .

ومتحركة، ويرتبط التشبيه بنفسية الشاعر وثقافته وقدرته الإبداعية فكلَّما كان التباين بين طرفي التشبيه بيّناً كلما كان تأثيره قويا.

وقد أكثر "الرصافي البلنسي " من استخدام التشابه ، ومن أمثلة ذلك قوله:[1]

كأنَّ عَـــرُوساً أبـــدعَ اللهُ حُسْنَها فصيَّر مِـــنْ شَرْخِ الشبابِ لها عُمرا

فقد استعمل الرصافي تشبيها مرسلا ، حيثُ شبَّه بلده بلنسية بالعروس ذات الحسن والجمال ، التي تتمتع بالشباب والحيوية ، وذلك بسبب نظارة تلك الطبيعة التي تبعثُ في النفس الأمل والانشراح .

ومن التشبيهات أيضاً، تشبيه الوطن بالدرّة البيضاء ، يقول[2]:

هي الدرَّةُ البيضاءُ من حيثُ جِئْتَها أضاءَتْ وَمَنْ للدرِّ أَنْ يُشْبِهَ البَدْرا

هنا استعمل الشاعر تشبيها بليغاً ، حيث حذف فيه الأداة ووجه الشبه ،فهو يشبه بلنسية بالدرة البيضاء البراقة التي يشبه ضوؤها البدر في لمعانه وبريقه الأخاذ . وهو تشبيه مطروق منذ القدم .

ويقول أيضاً [3]:

وأزْهَر كالإصباح قد كنتُ أجتلي سناهُ كما يستقبل الأرِقُ الفَجْرا

في هذا البيت شبه الرصافي بلنسية بالصبح في إشراقه ووضوحه.

ويأتي بعد التشبيه **الاستعارة** كمرحلة أخرى من مراحل "الرصافي البلنسي" لمجاز اللغة ، والاستعارة كما عرَّفها القدماء «نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 70 .

[2]- المصدر نفسه. ص ن .

[3]- المصدر نفسه. ص 72 .

وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه ، أو بالإشارة إليه بالقليل من اللفظ ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه ...» [1]. والاستعارة أيضاً «جزء من أداة اللغة، وهي وسيلة للتعبير عن الفكرة المعقدة ، لا عن طريق الإخبار المباشر ، أو عن طريق التحليل، ولكن عن طريق اللمح السريع لوجه الشبه بين الأشياء المتفرقة ، ومن هنا يأتي التفاوت بين عبقريات الشعراء في استباق الأفق وتسجيل الرؤيا الكاشفة لهذا اللمح السريع لأوجه الشبه والصلات بين الأشياء»[2].

ويلاحظ أنَّ الرصافي البلنسي في قصائد الغربة والحنين قد أكثر من توظيف **الصورة الاستعارية** التي تُعتبر برهاناً قويا على نُبوغ الشَاعر والتي تنهض بالتعبير عن نفسيته ، من ذلك قوله [3]:

محلٌّ أغرُّ العد لم نبد ذكره على كبدٍ إلا امْتَرَى أدمُعًا حَمْرَا

حيثُ المحل هو مكان ، والأغر صفة من صفات الحصان ،وهو بياضٌ يتوسط جبهته، حيث شبه المكان بالجواد وكنَّى عنه بلفظة أغر.

ويقول أيضا[4]:

خليليَّ ما للبيدِ قد عبقتْ نشْرا وما لِرُءُوسِ الرَّكْبِ قد رُنِّحَتْ سُكْرا

استعارة مكنية في "البيدِ عبقتْ نشْرا" ، حيثُ شبه البيد وهي الصحراء الواسعة ،"بالورود" ، ثم حذفه وأبقى على شيء من لوازمه وهي "عبقت".

---

[1]- العسكري، أبو هلال. كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. ص 268 .

[2]- التطاوي ، عبد الله. الصورة الفنية في شعر مسلم ابن الوليد. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة . مصر .(د.ط) .2002 م. ص 211.

[3]- الرصافي، البلنسي . الديوان. ص 63.

[4]- المصدر نفسه. ص 67 .

وقوله أيضا [1]:

تُؤبَّـــدُ فيها شَعْشَعـــانيةُ الضُّحَى إِذا ضاحكَ الشمسُ البحيرةَ والنهرا

الاستعارة في "ضاحك الشمس"، حيث شبّه الشمس بالكائن الحي ثم حذفه ،وابقى على شيء من لوازمه وهو "الضحك"، وينجح الشاعر من خلال هذه الاستعارة في توظيف عناصر الطبيعة للتعبير عن مشاعر الغربة وألم الفراق .

وكلُّ هذه الاستعارات وغيرها الكثير تدل بالإضافة على مهارات الشاعر ومقدرته على معاناته أيضا ، هذه المعاناة التي كانت أكبر من أن يتحملها بمفرده ولذلك يلجأ في كثير من الأحيان إلى عناصر الطبيعة ليحملها بعض همومه .

ولا تخلو نصوص الغربة والحنين للرصافي البلنسي من **الصور الكنائية** وإن كان لا يحتفل بها الرصافي كثيرا بالرغم من أنَّها تعتمد على التصوير أيضا ، وتؤثر في المتلقي قبل وصول المعنى إلى عقله . فقد عرَّفها القدماء بقولهم أنَّها «تشير إلى معاني في قلب الشاعر وعقله عن طريق التعريض والتلويح والإيماء والإشارة»[2]. وقد استخدم الرصافي هذا النوع من الصور البلاغية للتعبير عن المواقف النفسية الحزينة التي يمر بها وعن القلق الذي يعتري غربته ، إذ يقول [3]:

وقَالُوا هَل الفردوسُ ما قد عَلمته فَقُلتُ وَمَا الفردوسُ في الجنَّةِ الأُخْرَى

فكنَّى بقوله : "هل الفردوس" ، عن جمالها وحسنها ، إذ شبّه بلده بلنسية بالفردوس، أعلى درجات الجنة ، وهذا لما هو معروف على بلنسية فهي قطعة جميلة من الطبيعة الأندلسية تتميز بالبساتين والمياه الجارية .

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان.ص 67.

[2]- السكاسي ، أبو يعقوب . مفتاح العلوم. ضبط وتمميش وتعليق نعيم زرزور . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط2 . 1987م .ص 402 .

[3]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 69.

ويقول الرصافي أيضاً [1]:

مُحيّـــا خليلٍ غـــاض مـــاءُ حياته وســـاكنُ قصرٍ صار مسكنُه االقَبْرا

حيث كنَّ بقوله: "غاض ماءُ حياته"، عن الضعف ، وذهاب نظارة الوجه وجماله ، كنى أيضا بقوله "صار مسكنه القبرا" عن الموت ، وعن الاندثار والزوال والإنمحـــــاء .

وله صور بيانية أخرى ، حيث يقول [2]:

أكـــــارمُ عاث الـــدهر ما شاء فيهم فبادت لياليهم فهل أشتكي الدهـــرا

حيث كنَّى بقوله : "عاث الدهر ما شاء فيهم" ، عن طول المدة وتقلب الأحوال ، وكناية عن المعاناة التي عانوها قبل أن تبيد لياليهم .

2-**الصـــور الحسيـــة :**

هي الصورة التي ترتد إلى حاسة من الحواس الخمس لدى الإنسان ، وترتبط بالأثر النفسي الذي تحدثه في المتلقي [3].وهي تقوم على علاقات أوسع ، إن جزّأها الإنسان أساء إليها ، فهي تلك الصور المرتبطة بالحواس ، ومنها : الصورة الحركية ، والصورة الشمية ، والصورة السمعية ، والصورة البصرية[4].

وقد استخدم "الرصافي البلنسي" الصورة الحسية ،بأنواعها المختلفة : البصرية ، والسمعية ، والشمية ، والذوقية .

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 69.

[2]- المصدر نفسه ص 69 .

[3]- ينظر : الشناوي، علي الغريب . الصورة الشعرية عند الأعمى التطليلي . مكتبة الآداب . القاهرة . مصر . ط1 . 2003 م . ص 133.

[4]- ينظر : كبابة ، وحيد . الصورة الفنية في شعر الطائيين .منشورات اتحاد الكتاب العرب . القاهرة . مصر . (د.ط) . 1999 م. ص 31 .

أ- **الصورة البصرية :**

وهي ما تجلو الأبصار من نظرها إلى واقع ما ، أو ما تراه العين مرتبطاً بصورة ذهنية ما . ومن بين الصور البصرية التي تأتي نتيجة مشاهدات الشاعر وتأملاته وقوة خياله ، يقول الرصافي[1]:

فـــلا حُـــرِمتُ سقيـــاه أدمُع مُزْنَةٍ ترى مَبْســـمَ النّوار أصفَـــر مُغْبـــرّا

ويصف "الرصافي البلنسي" في هذا البيت ويرثي صديقاً له في صورة جميلة يتخذ مواد تركيبها من اللون والشكل ، وقد أفصح عن بصرية الصورة حين قال "ترى" ، هنا بدت الصورة واضحة جلية .

ويقول أيضا [2]:

كأنَّ عَـــرُوساً أبـــدعَ اللهُ حُسْنَها فصيَّر مِـــنْ شَرْخِ الشبابِ لها عُمرا

صوّر الشاعر بلده بلنسية بالعروس التي تجلى بالثوب الأبيض ، وهي صورة هادئة ، لأن اللون الأبيض يبعث حالة من الهدوء والطمأنينة والاسترخاء ، ويزيد من الحجم الظاهر للأشياء [3].

ويقول أيضا [4]:

طـــويلُ نجـــادِ السيـــف لان كأنما تخطَّى بـــه في البرد خَطِّيّـــةً سمرا

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان .ص 72 .

[2]-المصدر نفسه .ص 70.

[3]- ينظر : شكري، عبد الوهاب . الإضاءة المسرحية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . مصر . (د.ط). 1985 م . ص 85 .

[4]- الرصافي ، البلنسي . الديوان .ص 72 .

في هذا البيت يصف الرصافي صديقاً له ، بـــ "طويل النجاد" ، ويعني في الأصل أن محمل سيفه طويل ، وهذا يستدعي ملاحظة بصرية ، فقد استخدم "الطول" كمادة تركيبية في تصويره .

والصورة البصرية كثيرة جداً في شعر الحنين ،لأنَّها انعكاس مباشر لما يراه الشاعر ، فيلجأ إلى تصويره كما هو ، أو كما تثير هذه الصورة في نفسه من صور ذهنية وانفعالية مختلفة .

ب- **الصـــورة الشمِّـــية :**

وهي ما ينقله الأنف ، وتتلقاه حاسة الشم ، من أشياء أكثر الشعراء منها ، مثل وصف رائحة الأزهار ، أو ديار المحبوبة ، لكن الغالب العام ، كان في الحنين إلى الأماكن والمجالس ، التي ارتبط بها الشاعر بشيء معين .من ذلك قول الرصافي البلنسي [1]:

وكم بالنَّقا مـــن روضةٍ مُرْجَحِنَّةٍ تَضَمَّـــــخُ أَنْفـــاسُ الرِّيـــــاحِ بها نَشْرا

رسم الشاعر لنا صورة جميلة زاهية ، اعتمد في جزء منها على حاسة الشم ،فهو يصور ما يتذكره من تلك الروضة المنتعشة ، وما يفوح من أزهارها من روائح طيبة زكية ، وما يبعثُ في نفسه من شوقٍ وألم دفين .

ويقول أيضاً [2]:

هل المسكُ مَفْتوقاً بِمَدْرَجَةِ الصَّبا أمِ القومُ أجـــروْا مـــنْ بلنسيةٍ ذكرا

في هذا البيت يصوّر الرصافي ما شمّه من مسك يفوح من أزهار الرصافة أيام صباه التي يحنُّ إليها ، فهي صورة جميلة ، حيث أنَّ المسك يذكره بمدرجة الصبا ، حيث شعوره بالانتماء .

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان . ص 74 .

[2]- المصدر نفسه. ص 67.

ويقول الرصافي أيضا [1]:

خليليَّ ما للبيدِ قد عبقتْ نشْرا وما لِرُءُوسِ الرَّكْبِ قد رُنِّحَتْ سُكْرا

اعتمد الشاعر على جزء من حاسة الشم وهو" عبقت" ، فهنا يصوّر لنا تلك الصحاري الواسعة وما ينبعثُ منها من رائحة طيبة ، ويقصد بها هنا طيبة البشر .

يلاحظ أن الشاعر اختار من الألفاظ ما يرتد إلى حاسة الشم "تَضَمَّخُ "،" المسك" ،"عبقتْ"، ليعبِّر عن جمال بلاده وحسن طبيعتها المليئة بالروائح الزكية العطرة .

ج – **الصـــورة الذوقيـــة :**

وهي الصورة التي تعود إلى حاسة الذوق ، وقد جاءت قليلة في شعـــر الحنين ، يقول الرصافي [2]:

سَقَتـــْه على مـــا فيه مـــن أريحية خلائقُ هُنَّ الخمرُ أو تشبهُ الخمرا

في هذه الصورة شبّه الشاعر الخمر بالشيء الحلو المذاق ، فما يدلّ ذلك إلا أنّ الشاعر قد تدوّق الخمر في حياته ، ومدرك لطعمه .

د- **الصورة اللمسيـــة :**

تعتمد الصورة اللمسية أساساً على حاسة اللمس التي تتعلق بجد اللامس أو الملموس «وحاسة اللمس هي أيضا حاسة مهمة في إدراك الجمال في تطلعنا على ما لا تستطيع العين اطلاعنا عليه كالنعومة والرخاوة والملاسة» [3].

---

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 67 .

[2]- المصدر نفسه .ص 72 .

[3]- قرش، عبد القادر . الصورة الفنية في الشعر الأندلسي في عهدي المرابطين والموحدين . أطروحة دكتوراه دولة . جامعة الجزائر .(د.ط). 1992 م- 1993 م. ص 145 .

ويقول أيضا [1]:

و لم أطْوِ عنها الخَطْو هجراً إذاً فلا لَثَمت نَعْلي مساكها الخَضْرَا

ويقول أيضا [2]:

أمودعينِ و لم أحملْ قبلةً نعليكُما تهدى لجسرِ معانِ

في هذه الصور الحسية ، نجد أنّ الرصافي يتحسس أرض وطنه بلنسية ، ويتشوق إلى أن تلامس قدماه أرضها ، فقد أخرج الصورة الحسية هَا هُنَا في الشكل اللمسي حين وضف كلمة " لثمت" ، في البيت الأول ، وكلمة " أحمل"، في البيت الثاني .

[1]- الرصافي ، البلنسي . الديوان. ص 71 .

[2]- المصدر نفسه .ص 132.

وخلاصة القول في الصورة الحسية أنَّها أسهمت إسهاماً واضحاً في إيصال المعنى ونقل التجربة إلى المتلقي وتعميقها بوسائل لا تخلو من الفنية والجمالية . فحين يتحدث محمد مندور عن اعتبار الموسيقى الشعرية إحدى الوسائل المرهفة التي تمتلكها اللغة ، للتعبير عن ظلال المعاني وألوانها [1]، فإنّ الصورة بلا شك هي من أعظم وسائل اللغة في إبراز المعنى ، وكشف خفايا النفس ، وإبرازها للمتلقي ، مؤثرة بصورة أعظم وأكثر مما تؤثر فيه اللفظة العادية ، خارج إطار الصورة

وهذا يفسر اعتماد الشعر بالدرجة الأولى على الصورة في إفهام السامع أو القارئ ، حقيقة ما يدور في نفس الإنسان .

[1]– ينظر : محمد مندور . الأدب وفنونه .دار نهضة مصر . القاهرة . مصر . (د.ط). (د.ت). ص 26 .

بعد هذه الجولة مع شعر الغربة الحنين عند الرصافي البلنسي ، تبيّن لي ما لهذا الشعر من أهمية ، ربما كانت نتيجة كون هذا الشعر يعبّر عن عاطفة إنسانية ، وجدت مع وجود الإنسان ، ولا تنتهي بنهايته ، عبّر الشاعر عن حنينه إلى الوطن الذي هو رمز السكينة والهدوء ، والحرية التي هي أغلى ما يملكة الإنسان . كما لم يغفل الشاعر في حنينه إلى الأماكن ، تلك المظاهر الطبيعية الخلابة التي كانت أحد العوامل الرابطة لهم بهذا المكان ، والباعثة على الحنين إليه ، مثل : البساتين ، والمتنـــزهات ، والأنهار، والقصور ، والأسواق ، وما إلى ذلك .

ويمكن القول أنّي قد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى بعض الملاحظات الأساسية حول موضوع الغربة والحنين في شعر الرصافي البلنسي يمكن إجمالها في النقاط الآتية :

- يعدُ موضوع الغربة والحنين عند الرصافي البلنسي تعبيراً عن تجربة شعورية وواقعية صادقة ، قد عاشها الشاعر ، وأدَّت إلى ذلك ظروف موضوعية مرتبطة بصراعات ومشاكل عصره ، فظهر تأثيرها في شعره واضحاً .
- كانت الطبيعة بمختلف مظاهرها أهم ما ميّز موضوع الغربة والحنين عند الرصافي البلنسي حيث كانت الطبيعة الباعث الأساسي للحنين إلى الوطن ، فكانت تلك المظاهر الساحرة في بلده بلنسية أهم شكل في خطاباته الحنينية .
- شكلت الذكريات الماضية جزءاً لا يتجزأ من موضوعات الحنين فقد حنَّ الشّاعر إلى أيامه الماضية بما فيها من سرور العيش ولذته التي افتقدها، حيث عبَّر عن حنينه إلى زمن الصِبَا ، وكان حنينه إلى الماضي إعادة للذكريات الجميلة ،وذلك ليقهر حاضر الانهزام والعجز.
- إلى الجانب الفني في شعر الغربة والحنين عند الرصافي البلنسي ، حيث كشفت لنا الدراسة عن قضايا مختلفة، أبرزها ما يلي :

- تناولت الدراسة في هذا الجانب الخصائص الأسلوبية لشعر الغربة الحنين، فوقفت على ألفاظ الحنين التي وظفها الشّاعر في تجربته الفنية، حيث قسمت إلى قسمين: ألفاظ الحنين المباشرة، من مثل:" أحِنُّ، حنين، الشّوق، وغيرها"، والألفاظ الدّالة على الحنين منها "الدمع، الوجد، والتّلهف، والفراق وغيرها". واستخدم الرصافي البلنسي أسلوب التّضمين، حيث اقتبس من الشّعراء السّابقين، إذ تأثر بألفاظهم وأساليبهم، وضمن أقوال بعضهم في أشعاره، ليضاعف فكرته ويبرزها أكثر. واستخدم الرصافي في حنينه أيضا الأساليب الإنشائية المختلفة، مثل: أسلوب النّداء، ووظف أسلوب الاستفهام ليعبر عن حاضره المرير واصطدامه بالواقع.
- اهتم الرصافي البلنسي بالمحسنات البديعية اهتماماً واضحاً؛ ليظهر مهارته في التّصرف بالكلمة صورة وصوتاً، حيث وظف الطباق والمقابلة ليظهر المفارقة بين صورة الماضي وصورة الحاضر، وكان الطباق من أكثر المحسنات البديعية حضوراً. وجمَّل الرصافي قصيدة الحنين باستخدام الجناس ، مُظهِراً ما يضفيه الجناس من موسيقى إيقاعية تترك أثراً في نفس المتلقي، واستخدم التوازن حيث تساو الأبيات من حيث عدد الحروف والكلمات، يحدث تناسقاً موسيقياً .
- انتقلت الدراسة إلى جانب آخر من الخصائص الفنية، وهو جانب موسيقى شعر الحنين، حيث أسهمت الموسيقى الداخلية في إثراء موسيقى شعر الحنين حيث تمكنت من أن تبرز جمال النص الشعري بما أحدثته بعض المحسنات البديعية التي وظفها الشاعر في حنينه.

وفي الختام آمل أن تكون الدراسة قد أسهمت في إبراز شعر الغربة والحنين عند الرصافي البلنسي ، وأرجو الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا العمل الذي بذلت فيه جهداً كبيراً، بما يرضي الله سبحانه وتعالى، والقارئ، فإن وفقت فمن الله، وإن قصرت فمن نفسي، والتّقصير سمة البشر.

المصادر والمراجع

- **القـــــرآن الكريم (برواية حفص)**

1- ابن الأبار .التكملة لكتاب الصلة . تحقيق عبد السلام الهراس . دار الفكر للطباعة . بيروت . لبنان . ط 1 . 1995م.

2- الإبشيهي، شهاب الدين . المستطرف في كل فنّ مستظرف . دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر . ط1. بيروت . لبنان . 1992م .

3- الإبياري ، إبراهيم .في الوطن الأدب العربي. دار القلم .القاهرة . مصر . (د.ط). 1962 م.

4- ابن الأثير، ضياء الدين . المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب . ج 2.تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة .دار نهضة مصر للطبع والنشر. الفجالة. القاهرة.(د.ط). (د.ت).

5- امرؤ القيس . الديوان .تحقيق مصطفى عبد الشافي . دار الكتب العلمية . ط 5 . بيروت . لبنان . 2004 م.

6- أنيس، إبراهيم . موسيقى الشعر . مكتبة الأنجلو المصرية . مصر. ط2 . 1952 م.

7- البخاري ،محمد بن اسماعيل . الصحيح . دار ابن كثير . اليمامة . بيروت . ط3 . 1987 م.

8- بوقرورة ، عمر . الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945-1962).مركز منشورات جامعة باتنة . باتنة . الجزائر. (د.ط). (د.ت).

9- التطاوي، عبد الله. الصورة الفنية في شعر مسلم ابن الوليد. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة . مصر .(د.ط) .2002م.

10- التونجي ، محمد . المعجم المفصل في الأدب .دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط2 . 1999 م.

11- الجاحظ ،أبو عثمان. الحنين إلى الأوطان .دار الرائد العربي . (د.ط) . بيروت . لبنان .(د.ت) .

12- الجاحظ، أبو عثمان . الحيوان . ج3. تحقيق وشرح عبد السلام هارون. دار الجيل . بيروت . لبنان .(د.ط). 1992م .

13- الجبوري ، يحي . الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان) . دار مجدلاوي . عمّان . الأردن . ط 1 ، . 2008 م .

14- الجرجاني ، علي. الوساطة بين المتنبي وخصومه . تحقيق وشرح. محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي .المطبعة العصرية. بيروت. لبنان.ط1. 2006 م.

15- الجوزية ، ابن قيم . مدارج السالكين . ج2.دار الكتب المصرية . القاهرة . مصر . ط1 . 1292 هـ .

16- الجوهري ، اسماعيل بن حمادة . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . مادة (غرب) . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .دار العلم للملايين . بيروت . لبنان . ط4 . 1990 م.

17- الحجي ، عبد الرحمن علي . التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة . دار القلم .سورية . دمشق . ط 2 . 1981 م.

18- الحسين، أحمد جاسم . الشعرية قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي . الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية . دمشق . سورية .ط1 . 2000 م.

19- الحطيئة .الديوان. شرح حمدُو طمّاس . دار المعرفة للنشر والتوزيع . بيروت. لبنان. ط2 .2005م.

20- الحموي ، ابن حجة. خزانة الأدب وغاية الأرب .ج1.تحقيق عصام شعيتو . دار ومكتبة الهلال . بيروت. لبنان. ط1 . 1987 م .

21- الحميدي، عبد الله . جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس . تقديم الشيخ محمد زاهر بن الحسن الكوثري. تصحيح وتحقيق محمد بن تاويت الطبخي. مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع. مصر . (د.ط).(د.ت).

22- الحميري . الروض المعطار في خبر الأقطار . تحقيق إحسان عباس . مكتبة لبنان . بيروت . لبنان . ط 2 . 1984 م.

23- حيدة ، عبد الحميد .مقدمة لقصيدة الغزل العربية . دار العلوم العربية للطباعة والنشر . بيروت . لبنان . ط 1 .1992 م.

24- ابن الخطيب، لسان الدين . أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام. تحقيق ليفي بروفنسال .دار المكشوف . بيروت . لبنان . ط 2 . 1956 م.

25- ابن الخطيب ، لسان الدين . الإحاطة في أخبار غرناطة . ج 2.تحقيق محمد عبد الله عنان . مكتبة الخانجي . القاهرة . مصر. ط 2 . 1973 م .

26- ابن الخطيب ، لسان الدين. الديوان . صنعه وحققه وقدم له د. محمد المفتاح . دار الثقافة . الدار البيضاء .(د.ط) . 1989 م.

27- ابن خفاجة. الديوان . تحقيق مصطفى غازي .منشأة المعارف . الإسكندرية. مصر . (د.ط) . 1960 م.

28- الداية ، محمد رضوان . في الأدب الأندلسي . دار الفكر للطباعة والنشر . سورية . دمشق . ط 1 . 2000 م.

29- دقالي ، أحمد . الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري) . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية .مصر . ط 1 . 2008 م.

30- الرصافي ،البلنسي . الديوان. جمعه وقدّم له إحسان عباس . دار الشروق . بيروت . لبنان . ط 2 .1983 م.

31- ابن زيدون. الديوان. شرح وتحقيق كرم البستاني .دار صادر. بيروت. لبنان . (د.ط) . 1975 م.

32- السد، نور الدين . الشعرية العربية (دراسة في تطور القصيدة العربية حتى العصر العباسي) . ديوان المطبوعات الجامعية . بن عكنون . الجزائر . (د.ط). 1995م.

33- ابن سعيد . المُغرب في حُلى المغرب .ج1.تحقيق د. شوقي ضيف .دار المعارف . القاهرة . مصر . ط4 .(د.ت) .

34- السكاسي ، أبو يعقوب . مفتاح العلوم. ضبط وتهميش وتعليق نعيم زرزور . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط2 . 1987م.

35- الشايب، أحمد . أصول النقد الأدبي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة .مصر .ط10 . 1994 م.

36- الشريف ، الرضى . نهج البلاغة . ج4.تحقيق محمد عبده . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت. لبنان. ط 1 .(د.ت) .

37- شكري، عبد الوهاب . الإضاءة المسرحية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . مصر . (د.ط). 1985 م.

38- الشناوي، علي الغريب . الصورة الشعرية عند الأعمى التطليلي . مكتبة الآداب . القاهرة . مصر . ط1 . 2003 م .

39- صليبا ، جميل . المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية. ج1.الشركة العالمية للكتاب . دار الكتاب العالمي . بيروت . لبنان . (د.ط) .1994 م .

40- طحطح ، فاطمة . الغربة والحنين في الشعر الأندلسي. منشورات كلية الآداب بالرباط . مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء .المغرب . ط1. 1993م.

41- الطربولي ، محمد عويد . المكان في الشعر الأندلسي (من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي) دار رضوان للنشر والتوزيع . الأردن . عمان . ط 1 . 2012 م.

42- طرفة بن العبد .الديوان. دار الكتاب العربي .بيروت. لبنان . ط1 . 1997 م.

43- الطويل، يوسف . مدخل إلى الأدب الأندلسي .دار الفكر اللبناني . بيروت . لبنان . ط 1 . (د.ت).

44- عباس، إحسان . فن الشعر .دار الثقافة . بيروت . لبنان .(د.ط) . (د.ت).

45- عبد الله ، محمد حسن . الصورة والبناء الشعري .دار المعارف . القاهرة . مصر . (د.ط) . (د.ت).

46- عبد المطلب، محمد . البلاغة الأسلوبية . مكتبة لبنان ناشرون . بيروت . لبنان . ط1 . 1994 م .

47- عتيق ، عبد العزيز . الأدب العربي في الأندلس . دار النهضة العربية. بيروت . لبنان. ط1 . 1976م.

48- عتيق ، عبد العزيز. علم العروض والقافية. دار النهضة العربية . بيروت. لبنان .(د.ط). 1987م.

49- العجاج .الديوان. ج 1 .تحقيق : عبد الحفيظ السطلى . مكتبة أطلس . دمشق. سوريا .(د.ط). (د.ت).

50- ابن عزيم .مختارات ابن عزيم . جمع وتحقيق د . عبد الحميد الهرامة . الدار العربية للكتاب .القاهرة. مصر . ط1. 1993 م.

51- العسكري، أبو هلال . كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر .مطبعة محمود بك .طبع برخصة نظارة المعارف الجليلة . مصر.ط1 . 1319 هـ .

52- عمر بن أبي ربيعة . الديوان . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة . مصر .ط1 . 1960 م.

53- عنان ، محمد عبد الله . دولة الإسلام في الأندلس . ج 1. مكتبة الغانجي . القاهرة . مصر . ط 4 . 1994 م .

54- عنترة، بن شداد . الديوان . دار صادر . بيروت . لبنان . ط1 .1968 م.

55- عياش، منذر . الأسلوبية وتحليل الخطاب . مركز الإنماء الحضاري . حلب . سوريا . ط1. 2002م.

56- عيد، رجاء . التجديد الموسيقي في الشعر العربي دراسة تأصيلية تطبيقية بين القديم والجديد لموسيقى الشعر العربي .منشآت المعارف. الإسكندرية . مصر. (د.ط) .(د.ت).

57- عيسى ، خليل محسن . أمراء الشعر الأندلسي . دار جرير للنشر والتوزيع . عمان . الاردن . ط1 . 2007 م.

58- فهمي ، ماهر حسين . الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث . مطبعة الجبلاوي . مصر. ط 1 . 1970 م.

59- فوزي ، عيسى . الشعر الأندلسي في عصر الموحدين . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية . مصر . ط 1 . 2008 م.

60- قدامة ، بن جعفر . نقد الشعر . تحقيق عبد المنعم خفاجي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .(د.ط).(د.ت).

61- القرطاجني ، حازم . منهاج البلغاء وسراج الأدباء .. تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة . دار المغرب الإسلامي . بيروت . لبنان . ط2 . 1981 م.

62- القيرواني ،ابن رشيق . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ج1.تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة . بيروت . لبنان.ط5 . 1981 م .

63- كبابة ، وحيد . الصورة الفنية في شعر الطائيين .منشورات اتحاد الكتاب العرب . القاهرة . مصر . (د.ط) . 1999 م.

64- محمد مندور . الأدب وفنونه .دار نهضة مصر . القاهرة . مصر . (د.ط). (د.ت).

65- المراكشي ، عبد الواحد . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين .تحقيق صلاح الدين الهواري . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . ط 1 . 2006 م.

66- المراكشي، ابن عذاري . البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب . ج3.تحقيق ليفي بروفنسال . دار الثقافة . بيروت. لبنان. ط3 . 1983 م .

67- المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة . تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . دار الجيل للنشر والتوزيع .بيروت . لبنان. ط 1 . 1991م.

68- المعتمد ، ابن عباد. الديوان. تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد أشرف . المطبعة الأميرية . القاهرة . مصر . ط1 . 1951 م.

69- المقري ، التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . ج3. تحقيق إحسان عباس .دار صادر . بيروت . لبنان . ط1 . 1998 م .

70- المكناسي ، أحمد بن القاضي . جِدوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس . دار المنصور للطباعة والوراقة . الرباط . المغرب . ط 1 . 1973 م.

71- موافي ، عثمان . في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم. ج2.دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية . مصر.(د.ط) .2002 م .

72- الميداني . مجمع الأمثال . ج 1.تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السنة المحمدية . مصر . ط 2 . 1955 م .

73- النابغة ، الجعدي . الديوان . جمع وتحقيق واضح الصمد . دار صادر . بيروت. لبنان.ط1 . 1998 م .

74- النواحي. عقود اللآل في الموشحات والأزجال . تحقيق أحمد محمد عطا. مكتبة الآداب. القاهرة . مصر. ط 1. 1999م .

الكتب المترجمة

75- جان لابلانش ، بونتاليس . معجم مصطلحات التحليل النفسي . ترجمة مصطفى حجازي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت ، لبنان . ط1. 1985 م.

القواميس والمعاجم

76 ــ الزبيدي ، محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس . تحقيق إبراهيم الترزي . الكويت . ط 3. 2000 م .

77 ــ الفيروز، آبادي . القاموس المحيط. المطبعة الأميرية . مصر . ط 3 . 1883 م.

78 ــ ابن منظور . لسان العرب . تحقيق مجموعة من الأساتذة. دار المعارف . القاهرة . مصر . (د.ط) .(د.ت) .

الدوريات

79 ــ مجلة العربي . العدد 194 . الكويت . جانفي 1975 م.